www.dar-alkotob.com دار الكتب

دار الكتب www.dar-alkotob.com

المـرأة فى شـــعر الخـوارج

د. أحمد فهمى عيسى

كلية التربية بدمياط – جامعة المنصورة
كلية التربية للبنات بالطائف

www.dar-alkotob.com دار الكتب

دار الكتب www.dar-alkotob.com

دار الكتب www.dar-alkotob.com

إهداء

إلى الذى علمنى الحرف والكلام

إلى الأستاذ الدكتور/

محمد زغلول سلام

هذه نبتة من غرسك يا سيدى

أحمد فهمى عيسى

الأهرام
طباعة - نشر - توزيع / مدينة دمياط الجديدة

www.dar-alkotob.com دار الكتب

المقدمة :

تكاد تدور معظم الدراسات التى تناولت شعر الخوارج حول الإعجاب به ، ومثار إعجابهم أنه شعر جهادى عقدى ، فيه من القوة والثورة ما فيه ، ولكن فات البعض أن استبسال الخوارج وجهادهم كان موجهاً إلى جسد الأمة الإسلامية على اعتبار أنها أمة كافرة مادام أفرادها لم يلتزموا بما اعتقده الخوارج ، كل هذا أوهن قوة الأمة وفل عزيمتها فانشغلت بهم عن جهادها الخارجى ، ولم نعرف أن الخوارج وقفوا مرة واحدة فى وجه أعداء الإسلام .

ولهذا جاء هذا البحث ليجلى ما فعله الخوارج من خلال إطلالة جديدة تتمثل فى دراسة " المرأة فى شعر الخوارج " ، لنجيب على عدة أسئلة ننفذ منها إلى فكر الخوارج وخطورته ، مثل : هل كانت المرأة الخارجية مثل جميع النساء فكانت امرأة مذللة كما كانت عند عمر بن أبى ربيعة ؟ أم كانت حلماً كما كانت عند العذريين ؟ أم كانت شيئاً آخر ؟ .

هل كان للمرأة دور فى جهاد الخوارج وتكوين فكرهم ؟ هل تغلبت المرأة الخارجية على نوازعها الإنسانية فى سبيل مذهبها وعقيدتها ؟ أم أن نوازعها كانت تتقلب عليها فنراها إنسانة عادية تضعف أمام نوازعها ورغباتها النفسية ؟ .

هل خلّفت المرأة الخارجية تراثاً شعرياً يدل عليها أو يدل على الخوارج وفكرهم وعقيدتهم ؟ .

هذا ما يحاول هذا البحث أن يجيب عليه ويبرزه ، متتبعاً صورة المرأة الخارجية من خلال شعر الخوارج رجالاً ونساءً ، فى فترة زمنية تمتد

دار الكتب www.dar-alkotob.com

منذ قيام هذه الفرقة وخروجهم على الإمام على رضـــى الله عنـــه ، مـــروراً بحضورهم القوى فى الدولة الأموية وامتدادهم الضعيف فى الدولة العباســـية إلى عهد هارون الرشيد حيث وُجدت أخبار لنساء خارجيات .

وقد جاء هذا البحث فى تمهيد وثلاثة فصول :

التمهـــــيد : يوضح فكر الخوارج وفرقهم والفظائع التى ارتكبوها .

الفصـل الأول : المرأة مقاتلة ، حيث يتناول هذا الفصل شخصيات نســائية شاركت الخوارج فى جهادهم وقاتلت جنباً إلـــى جنـــب مـــع الرجل.

الفصل الثانى : المرأة إنسانة ، حيث يتناول هذا الفصل المـــرأة كمركـــب إنسانى لها غرائز ورغبات تحركها وتتحكم فيها .

الفصـل الثالـث : المرأة شاعرة ، حيث يتناول هذا الفصـــل شـــعر نســـاء الخوارج : موضوعاته ، وقضاياه الفنية .

ثم أنهينا البحث بخاتمة تحتوى على أهم نتائج البحث .

كل هذا مع تجلية فكر الخوارج ومدى خطورة فكرهم وبقـــاء أثـــرهم حتى عصرنا هذا ، حيث توجد بعض الجماعات التى تمثـــل امتـــداداً للفـــرق الغالية من الخوارج .

هذا وإنى لأرجو بذلك أن أكون قد ألقيت الضوء على بعض القضـــايا الشائكة ، أو أظهرت جانباً مهملاً من دراسات الأدب السياسى .

فإن وفقت فمن الله عز وجل ، وإن كانت الأخرى فحسبى أننى حاولت واجتهدت ، والله الموفق .

أحمد فهمى عيسى

دار الكتب www.dar-alkotob.com

تمهيد

الخوارج سيرة وتاريخاً

www.dar-alkotob.com دار الكتب

يجدر بنا قبل دراسة المرأة فى شعر الخوارج أن نتعرف على البيئة الفكرية التى نشأت فيها وهى بيئة الخوارج ، فنحاول أن نعرف من هم ؟ وما مبادئهم؟ وما فرقهم ؟ وما أثرهم على الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً ؟ ، وبعد هذا نستطيع أن نميز بين سمات المرأة الخارجية والمرأة الأخرى .

تطلق كلمة الخوارج على أولئك النفر الذين خرجوا على " علىّ " بن أبى طالب رضى الله عنه بعد قبوله التحكيم عقب معركة " صفين " ، إذ اعتبر هؤلاء التحكيم خطيئة تؤدى إلى الكفر ، ومن ثمَّ طلبوا من " علىّ " أن يتوب عن هذا الذنب ، وانتهى الأمر بأن خرجوا من معسكره .

والعجيب فى الأمر أنهم هم الذين دفعوا علياً إلى التحكيم بعد أن كان متردداً فى قبوله " حتى إن الأشتر بن الحارث قائد جيش علىّ عنفهم بقوله لهم: يا أصحاب الجباه السّود كنا نظن أن صلاتكم عبادة وشوق إلى الجنة ، فتراكم قد فررتم إلى الدنيا فقبحاً لكم ، فسبوّه وسبّهم ، وضربوا دابته بسياطهم، وضرب هو وجوه دوابهم بسوطه ، وكان مِسْعَر بن فَدَكى وابن الكواء وطبقتهم من القرّاء الذين صاروا بعدُ خوارج كانوا من أشدّ الناس فى الإجابة إلى حكم المصحف " [1] .

والأعجب من هذا أنهم هم الذين رشحوا أبا موسى الأشعرى لينوب عن علىّ فى التحكيم على غير رغبة علىّ ، الذى كان يرشح ابن عباس لذلك،

---

[1] – الأخبار الطوال : لأبى حنيفة أحمد بن داود الدّينَورى ، تحقيق عمر فاروق الطباع ، ص ١٧٥ ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، وابن الكواء المشار إليه هو أول زعيم للخوارج فيما بعد .

دار الكتب www.dar-alkotob.com

ولتنظر فى هذا الحوار الذى دار بينهم وبين علىّ رضى الله عنه فيما جاء فى الأخبار الطوال [1] :

" قال الأشعث ومن كان معه من قراء أهل العراق : قد رضينا بحـــن بأبى موسى " :

فقال لهم علىّ : لست أثق برأى أبى موسى ، ولا بحزمـــه ، ولكـــن أجعل ذلك لعبد الله بن عباس .

قالوا : " والله ما نفرق بينك وبين ابن عباس ، وكأنّك تريد أن تكـــون أنت الحاكم ، بل اجعله رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ، ليس إلى أحد منكما بأدنى منه إلى الآخر " .

قال علىّ رضى الله عنه : " فلم ترضون لأهل الشام بابن العـــاص ، وليس كذلك " .

قالوا : " أولئك أعلم ، إنما علينا أنفسنا " .

قال علىّ : " فإنى أجعل ذلك إلى الأشتر " .

قال الأشعث : " وهل سعّر هذه الحرب إلاّ الأشتر ، وهل نحن إلاّ فى حكم الأشتر " .

قال علىّ : فقد أبيتم إلاّ أن تجعلوا أبا موسى " .

قالوا : نعم .

قال : " فاصنعوا ما أحببتم " .

هذا قبل التحكيم وبعد التحكيم يخرجون على " علىّ " لأنه قبـــل بـــه قائلين : " لا يحكم الرجال فى دين الله " أو " لا حكم إلا لله " فعقب علىّ رضى

---

[1] – الأخبار الطوال ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الله عنه على قولهم " كلمة حق يراد بها باطل " [1] ، وبعدها اعتزلوا عليا وجيشه وسموا بالمُحَكِّمة ثم أطلق عليهم اسم الخوارج ، ثم أصبحوا فرقة متميزة معروفة .

ومن ذلك الوقت أصبح لهم تاريخ معين وصار لهم وضع مستقل " ثم إن الخوارج بعد رجوع عليّ من صفين إلى الكوفة انحازوا إلى حَرُوْراء ، وهم يومئذ اثنا عشر ألفاً ، ولذلك سميت الخوارج حَرورية وزعيمهم يومئذ عبد الله بن الكواء وشبث بن ربعى ، وخرج إليهم عليّ يناظرهم فوضحت حجته عليهم فاستأمن إليه ابن الكوّاء مع عَشَرة من الفرسان ، وانحاز الباقون منهم إلى النهروان ، وأمّروا على أنفسهم رجلين أحدهما : عبد الله بن وهب الراسبى ، والآخر : حَرقوص بن زهير البَجَلى المعروف بذى الثُدَيّة [2] .

وعندما أراد عليّ أن يخرج على نتيجة التحكيم بحجة أن الحكمين خالفا القرآن والسنة فى التحكيم ، وفى أثناء إعداده جيشاً ليزمعوا السير نحو أعدائهم فى الشام ، ولمّا تهيأ للمسير أتاه من الخوارج أخبار فظيعة من قتلهم عبد الله بن خباب بن الأرت وامرأته ، وذلك أنهم لقوهما ، فقالوا لهما : أرضيتما بالحكمين ؟ ، قالا : " نعم " فقتلوهما ، وقتلوا أمّ سنان الصَّيداويّة ، واعتراضهم الناس يقتلونهم فلما بلغه ذلك بعث إليهم الحارث بن مرة الفَقَعسى ليأتيه بخربهم ، فأخذوه فقتلوه " [3] .

---

[1] – نظر الملل والنحل للشهرستانى ، ص ١١٥ .

[2] – الفرق بين الفرق : لعبد القاهر البغدادى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ص ٧٥ ، ٧٦ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

[3] – الأخبار الطوال ، ص ١٩٠ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

فغيّر عليّ رضى الله عنه وجهة جيشه إلى النهروان حيث يعسكر الخوارج فلمّا قَرُبَ عليّ منهم أرسل إليهم : أن سَلمُوا قاتل عبد الله بن خبَّاب ، فأرسلوا إليه : إنا كلنا قتله ، ولئن ظفرنا بك قتلناك ، فأتاهم عليّ فى جيشه وبرزوا إليه بجمعهم " [1] .

ثم حاجهم قبل القتال حتى صدّقه أكثرهم وقالوا التوبة ؛ واستأمن إليه منه يومئذ ثمانية آلاف ، وانفرد منهم أربعة آلاف بقتاله مع عبد الله بن وهب الراسبى وحُرْقوص بن زهير البجلى .. قتلوا جميعاً ولم يُفلت منهم غيرُ تسعة أنفس ، صار منهم رجلان إلى سجستان ، ومن أتباعهما خوارج سجستان ، ورجلان إلى اليمن ومن أتباعهما إباضية اليمن ، ورجلان صارا إلى عُمان ومن أتباعهما خوارج عمان ، ورجلان صارا إلى ناحية الحزيرة ، ومن أتباعهما كان خوارج الجزيرة ، ورجل منهم صار إلى تل موزن [2] " .

ويمكن القول إن حركة الخوارج قد أصابها الضعف بعد معركة النهروان ، وكادت أن تنهار ، على الرغم من أنهم قاموا بعدة حركات صغيرة تمثل آخر ما عندهم من قوة ، وذلك سنة ٣٨ هـ ، أما بعد سنة ٣٨هـ إلى سنة ٤١هـ فإنهم ظلوا هادئين ، والسبب فى ذلك يرجع إلى الهزيمة النكراء التى لحقت بهم فى النهروان ، قضت على خيرة زعمائهم ، ثم إن الإمام عليّ فى سابقته وجهاده ، وفضله ، وقوة شخصيته ، وقوة حجته ، كان له أثر بالغ

---

[1] – الفرق بين الفرق ، ص ٧٨ .

[2] – نفسه ، ص ٨٠ ، ٨١ .

دار الكتب www.dar-alkotob.com

فى ضعف حركتهم ، فقد استطاع أن يقنع أهل حروراء حتى تخلوا عن مركزهم فيها ورجعوا إلى الكوفة "[1] .

ولكن ظل المعركة النهروان فى نفوس الخوارج ، ما لكربلاء من الأثر البالغ فى نفوس الشيعة ، ذلك الأثر الذى حدا بهم إلى قتل علىّ بن أبى طالب بيد أحدهم وهو عبد الرحمن بن مُلْجَم المرَاوى .. فقتل على رضى الله عنه كان ثأراً لقتلى النهروان من أهل قطام ابنة علقمة من تيم الرباب ، وكانت فتاة ذات حسن وجمال ، قُتل أبوها وأخوها فى المعركة ، خطبها ابن مُلْجَم ، فطلبت صداقها قتل علىّ وثلاثة آلاف درهم وعبداً وأمة "[2] ، فوافق ابن مُلْجَم على ذلك ، فلما كانت تلك الليلة تقلّدَ سيفه ، وقد كان سمَّه وقعد مُعْلِّساً ينتظر أن يمر به علىّ رضى الله عنه مقبلاً إلى المسجد لصلاة الغداة .

فبينما هو فى ذلك إذ أقبل علىّ وهو ينادى : الصلاة أيها الناس فقام إليه ابن مُلْجم فضربه بالسيف على رأسه ، وأصاب طرفُ السيف الحائط فثلّم فيه ، ودُهش ابن مُلْجَم فانكب لوجهه ، وبدر السيف من يده ، فاجتمع الناس فأخذوه ... وحُمل علىّ رضى الله عنه إلى منزله ولم يُمس عنه يومه ذلك حتى مات رحمه الله ورضى عنه "[3] ، وكان ذلك فى شهر رمضان سنة ٣٨ من الهجرة كما يقول البغدادى ، وفى سنة ٤٠هـ كما يذهب أكثر المؤرخين[4].

---

[1] – الخوارج ، ناصر عبد الله السّعوى ، ص ٥٧ ، ٥٨ ، دار المعراج الدولية ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

[2] – السياسة والأدب فى العصر الأموى ، ص ١٠١ .

[3] – الأخبار الطوال ، ١٩٧ ، ١٩٨ .

[4] – انظر هامش ، الفرق بين الفرق ، ص ٨١ .

" ولما جاءت الدولة الأموية استمر الخوارج كقوة مناهضة لها ، وخاضوا كثيراً من المعارك الانتحارية ضد جيوش الأمويين وولاتهم وظهرت فرق خارجية عديدة كالأزارقة والنجدات والصفرية والعجاردة والإباضية وغيرهم ، ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز حاول أن يردهم إلى الحق[1]، كما حاول على بن أبى طالب من قبل ، إذ رأى من بينهم كما قال : أناساً قد ضللوا فضلوا ، وأنهم كانوا يبغون الحق فأخطئوا سبيله ، ولكنه فى النهاية يئس من إصلاحهم وردهم إلى الصواب ، ومن ثم لم يكن أمامه إلاّ قتالهم وحربهم .

وهكذا استمر الخوارج شوكة فى جنب الدولة الأموية يجاهدون فى سبيل إسقاطها وتقويض أركانها ، واستطاعوا فى بعض الأحيان أن يبسطوا نفوذهم على أرض فارس والعراق وبعض مناطق من اليمن والجزيرة ، وقابلهم الأمويون عنفاً بعنف وحاولوا سحقهم بكل قسوة وشدة حتى انكسرت شوكتهم وقتل أكثرهم [2] .

وقد جاءت الدولة العباسية والخوارج فى أخريات أيامهم ، فقد أنهكوا الدولة الأموية ، وأنهكتهم ، ونالوا منها ونالت منهم ، حتى إذا أعقبهم العباسيون كان الخوارج فى حالة تشبه الاحتضار ، وحركاتهم التى أتوا بها فى العصر العباسى تشبه حركة المذبوح ، فلم يتح – من أجل هذا – للمذهب الخارجى فرصة أن يتفلسف " [3] .

---

[1] – انظر : مروج الذهب للمسعودى ، جـ٣ ، ص ٢٠٠ ، ص٢٠٢ .

[2] – دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين ، د. أحمد محمد أحمد جلى ، ص ٦٠ ، ٦١ ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

[3] – ضحى الإسلام : أحمد أمين ، جـ ٣ / ٣٣٥ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

www.dar-alkotob.com دار الكتب

ورغم هذا قام الخوارج بثورات عديدة فى أنحاء متفرقة من الدولة العباسية حيث " كان نظر الخوارج إلى خلفاء بنى العباس كنظرهم إلى خلفاء بنى أمية كلهم لا يصلح للخلافة ، ولم يُختر اختياراً حُراً صريحاً ، ولم يستوف الشروط التى يجب توافرها فى الإمام ، وكلهم يجب الخروج عليه ، ومقاتلته وعزله وقتله إن أمكن " [1] .

ولهذا " خرج الإباضية فى عُمان بقيادة الجلندى ضد جيوش السفاح وراح ضحية هذه الحرب قرابة العشرة آلاف ، وفى عهد المنصور قاد ملبد بن حرملة الشيبانى الخوارج بالجزيرة عام ١٣٨هـ ، وقتل منهم عدد كبير ، وفى المغرب الإسلامى أشعل الخوارج بقيادة أبى حاتم الإباضى حرباً ضد جيوش العباسيين ، دامت خمس عشرة سنة وقتل فيها خلال ٣٧٥ موقعة ما يربو على الثلاثين ألفاً .

وفى عهد المهدى خرج يوسف بن إبراهيم المعروف بالبرم بخرسان ، كما خرج بس التميمى بالموصل واستولى على ديار ربيعة بالجزيرة ، وفى عهد الرشيد خرج الصحصح بالجزيرة وغلب على ديار بكر ، كما شهد عهده أيضاً ثورة الوليد بن طريف بالجزيرة ، وكانت من أعنف ثورات الخوارج التى شهدها عصر العباسيين ، وكان ذلك فى سنة ١٧٨هـ [2] .

---

[1] - نفسه . جـ٣ / ٣٣٧ .

[2] - انظر : دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين ، ص ٦٠ ، ٦١ ، ضحى الإسلام ، جـ٣ ، ص ٣٣٨ وما بعدها ، وتاريخ الطبرى جـ٧ ، ص ٤٦٢ وما بعدها ، والكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، جـ ٦ وغيرها .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

وفى سنة ٢٣١هـ ظهر خارجى ببلاد ربيعة فقاتله نائب الموصل ، فكسره وانهزم أصحابه [١] .

وكان ذلك من آخر ما قام به الخوارج من حركات ثورية طائشة ، فقد كسرت شوكتهم وتفرقت كلمتهم ، ولم يبق إلا من كان أقرب إلى الاعتدال منهم .

☯ ☯ ☯

هذا بإيجاز نبذة عن تاريخ الخوارج أما عن سبب تسميتهم "بالخوارج" والألقاب التى لقبوا بها فأشهرها ما يلى :

١- الخوارج : سموا بذلك لخروجهم على علىّ رضى الله عنه بعد التحكيم ، وقيل بل هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم حيث فسّروا الخروج بأنه خروج من بيوتهم جهاداً فى سبيل الله وفقاً لقوله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ صدق الله العظيم

(النساء ١٠٠)

٢- الشراة : والسبب فى هذا قولهم : شرينا أنفسنا فى طاعة الله ، أى بعناها بالجنة ، وذلك كما ورد فى قوله تعالى :

---

[١] - انظر البداية والنهاية ، جـ١٠ / ٣٠٦ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ صدق الله العظيم (البقرة ٢٠٧)

٣- المُحَكِّمة : لرفعهم شعار " لا حكم إلا لله " والتفافهم حولـه ، أو لإنكارهم التحكيم بين عليّ ومعاوية رضى الله عنهما .

٤- الحَرورية : وذلك أنهم لما فارقوا علياً – رضى الله عنه – بعد حادثة التحكيم اجتمعوا فى حَرْوَرَاء ، وهى ضاحية من ضواحى الكوفة ، ومن ثم سموا بالحرورية نسبة إلى هذه الضاحية .

هذا وإن كان الاسم الذى غلب عليهم هو " الخوارج " لأنهم خرجوا على : عليّ " ومعاوية ، وإن كان الشهرستانى يرى أن : " كل من خرج على الإمام الذى اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً " سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة فى كل زمان " [1] .

ولكن اللقب يطلق فى النهاية على تلك الفرقة التى بدأت بالظهور بعد معركة صفين تألفت جموعها الأولى من العَرب الخلص ، رجال الصحراء ، لاسيما من القبائل ذات البأس وجماعة من أهل الصيام والصلاة ، وعدد من القرّاء من جند الإمام عليّ ، ثمّ انضم إليها مع مرور الزمن كثير من العرب

[1] – الملل والنحل ، ص ١١٤ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

وغير العرب على اختلاف أجناسهم ، وتعدد منازلهم ، وانقسموا إلى فرق وتوزّعوا في البلدان العربية [1] " .

☯ ☯ ☯

أما عن صفات الخوارج [2] ، فقد اتصفوا بصفات كثيرة جعلتهم قوماً خصمين يجادلون عن مذهبهم ، ومن هذه الصفات :

١- **الفصاحة وطلاقة اللسان ومعرفة طريقة تأثير الكلام** ، ومن الأمثلة على فصاحتهم أنه : " قَدّموا رجلاً من الخوارج إلى عبد الله بن مَرْوان لتضرب عنقه ، ودخل على عبد الملك ابن له صغير ، ضربه المعلم ، وهو يبكي ، فهمّ عبد الملك بالمعلم ، فقال له الخارجي : دَعْوه يبكي فإنه أفتح لجرمه (الحلق)، وأصحّ لبَصَره ، وأذهب لصوته . قال له عبد الملك أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا ؟ قال الخارجي : ما ينبغي لمسلم أن يشغله عن قول الحق شيء فأمر بتخلية سبيله [3] " .

٢- **الشجاعة الخالصة النادرة** ، فيحكى عن الحجاج أنه " قال لرجل من الخوارج : أجمعت القرآن ؟ قال : أمتفرقاً كان فأجمعه . قال أتقرؤه ظاهراً ؟ قال : بل أقرؤه وأنا أنظر إليه . قال أفتحفظه ؟ قال : أخشيت فِراره فأحفظه . قال : ما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : لعنه

---

[1] – المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، ص ١٠٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ص ١٩٧٩م.

[2] – انظر الموسوعة العربية العالمية ، جـ١٠ ، ص ١٧٦ ، مؤسسة أعمال الموسوعة ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م .

[3] – البيان والتبيين ، جـ١ ، ٢٥٩ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الله ولعنك معه . قال إنك مقتول فكيف تلقى الله ؟ قال ألقــى الله بعملــى وتلقاه بدمى [1] " .

٣- **التشدد فى العبادة والانهماك فيها** ، فهم أهل صلاة وصيام ، أخلصــوا [illegible] عبدتهم ، وقاتلوا دفاعاً عنها ، لذلك نظر إليهم كثير من النــاس نظــرة عطف وإشفاق .

ولكنهم كما قال فى أمثالهم الرسول ﷺ : " تحقر صلاة أحدكم فى جنب صلاتهم ، وصوم أحدكم فى جنب صيامهم ، ولكــن لا يُجــاوز إيمانهم تراقيهم [2] .

٤- **حبهم للجدل والمناقشة ومذاكرة الشعر وكلام العرب** ، وغلبة التعصــب على جدلهم ، وعدم التسليم للخصوم بحجة وعدم الاقتناع بفكرة ، مهمــا كانت قريبة من الحق أو واضحة الصواب .

☯ ☯ ☯

أما بالنسبة لفرق الخوارج ، فقد كان الخوارج فى أول أمرهم طائفــة واحدة يدعون بالمحكِّمة ، وهم الذين خرجوا على أمير المؤمنين على بن أبى طالب – رضى الله عنه – ورفعوا شعار " لا حكم إلا لله " . فالمحكِّمــة هــم أصل الخوارج ، وقد ظلت الخوارج على ما كانت عليه طائفة واحدة حتى سنة ٦٤هـ ، حيث دبّ النزاع بينهم واختلفت كلمتهم ، ثم إنهم بعد مفارقتهم لعبــد الله بن الزبير فى مكة لما تبين لهم مخالفته لرأيهم ، تفرق القوم : فأقبل نــافع بن الأزرق الحنظلى ، وعبد الله بن صفار السعدى من بنى صريم بن مقاعس،

---

[1] – البيان والتبيين ، جـ٢ / ١٤٨ / ١٤٩ .

[2] – الملل والنحل ، ص ١١٥ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

وعبد الله بن إياض ، أيضاً من بنى صريم وحنظلة بن بيهس ، وبنو الماحوز: عبد الله ، وعبيد الله والزبير من بنى سليط بن يربوع ، حتى أتـوا البصـرة وانطلق أبو طالوت من بنى زمان بن مالك بن صعب بن مالك بن بكـر بـن وائل ، وعبد الله بن ثور أبو فديك من بنى قيس بن ثعلبة ، وعطية بن الأسود اليشكرى إلى اليمامة ، فوثبوا باليمامة مع أبى طالوت ، ثم أجمعوا بعد ذلـك على نجدة بن عامر الحنفى [1] " .

فالخوارج لم يستمروا كتلة واحدة وإنما كان واضحاً فـيهم الطبيعـة العربية البدوية ، فسرعان ما يختلفون ، وينضمون تحت ألوية مختلفة يضرب بعضها بعضاً ، ولو اتحدوا لكانوا قوة فى منتهـى الخطـورة علـى الدولـة الأموية [2] " أكثر مما كانوا .

ولكن كل جماعة كوّنت فرقة فى البلد التى ذهبوا إليها ولهذا رأينـاهم جماعات عدة ، حتى أن الجماعة الواحدة يتشـعب عنهـا عـدد كبيـر مـن الجماعات والتى قد لا تختلف عن بعضها إلاّ فى أمور فرعية بسيطة ، ولهذا اختلفت النظرة إلى عدد فرق الخوارج ، فالبعض يحصى الأصول والفـروع كالبغدادى فى الفرق بين الفرق والذى قال : " الخوارج عشرون فرقة ، وهذه أسماؤها :المحكمة الأولى ، والأزارقة ، والنجدات ، والصُفرية ، ثم العجاردة، المفترقة فرقاً منها : الخازمية ، والشـعيبية ، والمعلوميـة ، والمجهوليـة ، وأصحاب طاعة لا يراد الله تعالى بها ، والصلتية ، والأخنسية ، والشـيبية ،

---

[1] – الخوارج ، ناصر عبد الله السعوىّ ، ص ٧٠ .

[2] – فجر الإسلام : أحمد أمين ، ص ٢٥٩ ، مكتبة النهضة المصـرية ، الطبعـة (١٣) ، ١٩٨٢ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

والشيبانية ، والمعْبدية ، والرشيدية ، والمكرمية ، والحمزية ، والشـمراخية ، والإبراهيمية ، والواقفة ، والإباضية . والإباضية منهم افترقت فرقاً معظمهـا فريقان : حفصية ، وحارثية . فأما اليزيدية من الإباضية ، والميمونية مـن العجاردة فإنهما فرقتان من غلاة الكفرة الخارجين عن فرق الأمة [1] " .

وكل هذه الفرق منسوبة إلى أسماء رجال كما لاحظنا فكل من يخرج على قائده يكوّن فرقة من أنصاره تحمل اسمه ، ولكن الفروق بين هذه الفرق بسيطة كما أشرنا إلاّ فى بعض الفرق الأساسية كالأزارقة .

ولهذا وجدنا الشهرستانى يجعل هذه الفرق سـبع فـرق ، فيقـول : " وكبار الفرق منهم : المحكمة والأزارقة ، والبيهسية ، والعجاردة ، والثعالبة ، والإباضية ، والصفرية ، والباقون منهم [2] " .

والبعض يرى أن فرق الخوارج عبارة عن أربع فرق أساسـية بعـد المحكّمة الأولى ، وهى : الأزارقة ، والنجدات ، والإباضـية ، والصـفرية ، فهى أشهر فرق الخوارج وأكثرها دوراناً فى الكتب [3] ، ومعظم الفرق السابقة تفرعت عن الفرق الأربع .

وكل فرق الخوارج تجتمع على افتراق مذاهبها علـى إكفـار علـىّ وعثمان، والحكمين ، وأصحاب الجمل ، وكل من رضى بتحكيم الحكمـين ، والإكفار بارتكاب الذنوب ، ووجوب الخروج على الإمام الجائر ، إذا خـالف

---

[1] – الفرق بين الفرق ، ص ٧٢ ، ٧٣ .
[2] – الملل والنحل ، ص ١١٥ .
[3] – فجر الإسلام ، ص ٢٦١ ، وانظر التطور والتجديد ، د. شوقى ضيف ، ص ٨٨ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

السنة حقاً وواجباً [1] " ، وجوّزوا أن تكون الإمامة فى غير قريش . وكل من نصبوه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل ، واجتناب الجور كان إماماً ، وإن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله [2] " .

هذه هى المبادئ الأساسية التى اجتمعت حولها فرق الخوارج والتى وضعها فى الأساس الجيل الأول من المحكمة الأولى ، ولكن بقيت بعض الاجتهادات التى صاحبت بعض فرقهم واختلفت فيها عن غيرها من الفرق والتى بنيت عليها ممارسات خاطئة ، سنحاول أن نشير إليها مع عرضنا لأهم الفرق الخارجية الأربع التى أشرنا إليها :

١- الأزارقة :

هم أتباع نافع بن الأزرق الحنفى المكنّى بأبى راشد ، ولم تكن للخوارج قطُّ فرقة أكثر عدداً ولا أشد منهم شوكة [3] ، وكان نافع كما يُذْكر على قدر كبير من الشجاعة وعلى معرفة بالقرآن ومقدرة على الخطابة ، ويقال إنه كان ينتجع عبد الله بن عباس ، وهو بمكة يسأله عن تفسير القرآن ، وفى إحدى المرات أخذ نافع يسأل ابن عباس عن المفردات اللغوية فى القرآن الكريم حتى ملّه ابن عباس وضجر منه [4] .

---

[1] – الفرق بين الفرق ، ص ٧٣ ، وانظر : الملل والنحل ، ص ١١٥ .

[2] – الملل والنحل ، ص ١١٦ .

[3] – الفرق بين الفرق ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

[4] – انظر الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ، جـ١ ، ص ١٥٨ ، وما بعدها .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

والظاهر أن نافعاً أراد استثمار ثورة ابن الزبير وتوجيهها لصالح حركة الخوارج ، فدعا خوارج البصرة للذهاب إلى مكة لهذا الغرض وإن كان يتظاهر بالدفاع عن حرم الله .

وبعد أن رجع نافع بن الأزرق إلى البصرة ومعه عدد من الخوارج التقطهم عبيد الله بن زياد فأودعهم السجن ، وقد ظل نافع هذه المرة فى السجن ومعه عدد كبير من الخوارج إلى أن ضعف سلطان بن زياد فى البصرة بعد وفاة يزيد بن معاوية بفترة قصيرة ، وعند ذلك خرجوا من السجن بصورة جماعية ، وفى هذه الفترة نشط نافع وأصحابه وأشاعوا الاضطراب فى البصرة وقتلوا بعض الأفراد .

ثم انتقل نافع إلى الأهواز لتكون قاعدة انطلاقاته ، ولكن عدداً من زعماء الخوارج لم يبايعوا نافعاً ولم يخرجوا معه ، وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم نافع " قعدة الخوارج " فكفرهم بقعودهم عن الجهاد وإن كانوا موافقين له فى الرأى فأصبح هؤلاء فيما بعد زعماء لفرق خارجية أخرى [1]

ومن الأهواز سيطر الأزارقة على جزء كبير من بلاد فارس وكرمان، وأقاموا يستعرضون الناس ، ويسفكون الدماء ويقتلون الأطفال ، حتى روّعوا سكان هذه الأماكن وامتد نفوذهم إلى البصرة ، ودخل معهم عمال الزبير فى تلك الجهات فى عدة مواقع لم يستطيعوا هزيمة الأزارقة ، ومن أشهر هذه المواقع موقعة دولاب التى تقاتل فيها الفريقان حتى تكسرت النصال وقتل فيها

[1] – الخوارج : ناصر عبد الله السعوى ، ص ٧٥ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

نافع بن الأزرق ، واستمر الأزارقة بعد نافع ، وقاموا بعدة حملات ضـــد ولاة عبد الله بن الزبير .

ولما استولى الأمويون من بعد ابن الزبير على تلك الجهات ، دخلـــوا مع الأزارقة أيضاً فى حروب عنيفة ، واستطاع القائد المهلب بن أبى صـــفرة أن يلحق بهم عدة هزائم حتى كسر شوكتهم ، وكان الأزارقة قد بايعوا بعد نافع عدة أمراء من أشهرهم الشاعر المشهور قَطَرِىّ بن الفجاءة الذى قتل وأرسلت رأسه إلى الحجاج ، وبعده قتل أبو عبيدة هلال اليشكرى ومن معه وانتهى أمر الأزارقة بمقتله . حيث ضعف أمرهم كجماعة اشتهرت بالعنف والقسوة وشدة البطش والبأس ، وامتلأ تاريخهم بالدماء والقتل والنهب والسلب ، وأكدوا كـــل هذه الصفات فى مبادئهم وتعاليمهم التى تبنوها وحاولوا بكل عنف تطبيقها [1] ، **وكان من أهم مبادئ هذه الفرقة ما يلى :**

١- قولهم بأن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون وأن دارهم دار الكفر .

٢- تكفيرهم عليّا – رضى الله عنه – وتصويب ما قام به عبد الرحمن بـــن مُلْجَم .

٣- تكفيرهم القعدة – ممن كان على رأيهم – عن الهجرة إليهم ، حيـــث إن نافعاً من أظهر البراءة من القعدة عن القتال ، وإن كان موافقاً على دينه، وأكفر من لم يهاجروا إليه .

٤- استباحتهم قتل نساء مخالفيهم ، وقتل أطفالهم ، وزعمهـــم أن الأطفـــال مشركون ، والقطع بأن أطفال مخالفيهم مُخلَّدون فى النار .

---

[1] – دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين ، ص ٦٨ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

٥- إسقاط الرجم عن الزانى ، إذ ليس فى القرآن ذكره ، وإسقاط حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال مع وجوب الحد على قاذف المحصنات من النساء .

٦- اجماع الأزارقة على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كَفَرَ كُفْرَ ملة خرج به عن الإسلام جملةً ، ويكون مخلداً فى النار مع سائر الكفار .

٧- التقية غير جائزة لا فى قول ولا عمل .

٢- النَجْدات :

هم أتباع نَجْدَة بن عامر الحنفى ، وهو من أصحاب نافع بن الأزرق الذين انفصلوا عنه لأسباب مذهبية اجتهادية ، وذلك عندما أظهر نافع آراءه المتطرفة مثل البراءة من القعدة بعد أن كانوا على رأيه وسماهم مشركين ، واستحل قتل أطفال مخالفيه ونسائهم ، حيث رجع نجدة إلى اليمامة ومعه أبو فديك ، وعطية الحنفى وغيرهم من كبار الخوارج أمّروا نجدة عليهم وأطلقوا عليه أمير المؤمنين وأصبح أميراً على طائفة من الخوارج عرفوا بالنجدات ، وأصبح لنجدة وأتباعه نفوذ فى دائرة واسعة شملت البحرين وشواطئ الخليج ، وامتدت إلى عُمان وبعض أجزاء اليمن [١] " .

وظل أمرُ نجدة يتصاعد إلى أن دب الخلاف بينه وبين أصحابه لمآخذ أخذوها عليه ، ولعل أشدها كان حين رموه بالخيانة والتواطؤ مع عبد الملك ابن مروان الذى كتب إليه يدعوه إلى طاعته ، على أن يعفو عنه ويوليه على اليمامة وما حولها ... ثم اشتدت النقمة على نجدة ، فانحاز أتباعه عنه

[١] - انظر : الفرق بين الفرق ، ص ٨٧ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

وتحوّلوا إلى أبى فديّك عبد الله بن ثور فلما شعر نجدة بالخطر يحـــدق بـــه ، هرب واستخفى ، فألح أبو فديك فى طلبه حتى أدركه فى قرية من قرى حجر، حيث أتاه بعض أنصار أبى فديك ، فقتلوه فى سنة ٧٢هـــ [١] .

وتحول النجدات إلى ثلاث فرق استطاع الحجاج بواسطة عمر بن عبد الله بن معمر أن يهزمهم ويقضى عليهم قضاءً مبرماً .

ومن مبادئ النجدات ، ما يلى :

١- أنكروا على الأزارقة إكفارهم للقعدة منهم ممن لم يهاجر إليهم وامتد منهم الأمر إلى تكفير نافع ومن قال بإمامته [٢] .
٢- أن التقية جائزة فى القول والعمل كله [٣] .
٣- ومن ضلالته – أى نجدة بن عامر – أنه أسقط حد الخمر ، ومنها أيضاً أنه قال : من نظر نظرة صغيرة ، أو كذب كذبة صغيرة ، وأصرّ عليهـــا فهو مشرك ، ومن زنى ، وسرق ، وشرب الخمر غير مُصِرٍ عليه فهـــو مسلم ، إذا كان من موافقيه على دينه [٤] .
٤- يجيز النجدات أن يكون العالم بلا إمام ، إذا تناصف الناس فيما بينهم [٥] .

---

[١] – الخوارج فى العصر الأموى . لنايف معروف ، ص ١٤٩ ، دار الطليعة ، بيـــروت ، الطبعة الرابعة ، ص ١٤١٤هـــ ، ١٩٩٤م .
[٢] – الفرق بين الفرق ، ص ٨٧ .
[٣] – الملل والنحل ، ص ١٢٢ .
[٤] – الفرق بين الفرق ، ص ٨٩ .
[٥] – الملل والنحل ، ص ١٢٢ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

٣- الصُّفْرِيَّة :

هناك خلاف واسع حول نسبة الصُّفْرِيَّة:وهل سموا بذلك نسبة للصفرة التى تعلو وجوههم من أثر العبادة والزهد ؟ أم سموا بذلك نسبة إلى رجل بعينه كما نسبت الأزارقة والنجدات والإباضية ؟ ومن ذهبوا إلى هذا الرأى الأخير اختلفوا فى هوية من ينتسب إليه الصّفريْة : هل هو عبد الله بن صفار أم زياد بن الأصفر ؟ أم النعمان بن صفر ؟ وأرجح هذه الأقوال أن هذه الفرقة تنسب إلى زياد بن الأصفر [١] .

وكان مسرح نشاطهم الموصل وبلاد الجزيرة ، حيث ظهر فيهم بعد زياد " صالح بن مسرّح " ثم خلفه آخرون ، وقد خرج صالح عام ٧٦ هـ ، وأنزل بجيوش الحجاج هزائم متوالية ، وغنم منها سلاحاً ومالاً ، فعظم شأنه ، وزحف برجاله نحو الكرخ ، ثم دخلوا بغداد ، وساروا نحو الأنبار ، وارتفعوا نحو أذربيجان ، فانهزم أمامهم جيش الحجاج وعاد إلى البصرة [٢] .

ولمّا قُتل صالح فى إحدى المعارك ، تولى أمر الصفرية من بعده : شَبيبُ بن يزيد الشيبانى – ومعه زوجه غَزَالة وأمّه جهيزة ، فأرسل إليهم الحجاج جيشاً قرب الحيرة ، انتصروا عليه عدة مرات ، ثم هاجموا الكوفة ودخلوها مدة واستطاع أن يدمر شبيب جيوش الحجاج ، ولم ينته الأمر إلاّ بعد أن سقط شبيب فى نهر (دجيل) فغرق فيه عام ٧٧هـ ، وبعده استطاع

---

[١] – انظر : الفرق بين الفرق ، ص ٩٠ ، والتطور والتجديد فى الشعر الأموى ، ص ٨٨.

[٢] – الخوارج : تاريخهم وأدبهم ، على جفّال ، ص ٤٠ – ٤١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الحجاج أن يقضى على غزالة زوجة شبيب التى دوّخته وتحدته ، وكذلك أمه جهيزة .

كما قام الصّفرية بعدة ثورات فى الشمال الإفريقى فى عهد الأمـــويين فى عهد هشام بن عبد الملك (٧١ / ١٢٥هـــ) ولم تتمكن جيوش الخلافـــة أن تخمد هذه الثورات إلا فى عام ١٢٣هـــ .

كما شهد العهد العباسى أيضاً بعض الثورات الخارجيـــة الصـــفرية ، ومن بينها ثورة الصفرية بناحية مكناسة فى المغرب الأقصى بقيادة عيسى بن أبى يزيد الذى تجمع حوله الصفرية ، والذى بقى أميراً على مكناسة نحواً من خمسة عشر عاماً ثم بويع من بعده لابنه إلاّ أنه دان بالولاية للخليفة العباسى[1].

وكل الصّفرية يقولون بمولاة عبد الله بن وهب الراسبىّ ، وحرقوص بن زهير وأتباعهم من المحكمة الأولى ، ويقولون بإمامة أبى بـــلال مـــرداس الخارجى بعدهم ، وبإمامة عِمران بن حِطان السدوسى بعد أبى بلال [2] .

أما عن مبادئ الصفرية ، فمنها ما يلى [3]:

١- لم يكفروا القعدة كما ذهب الأزارقة ماداموا موافقين لهم .

٢- ولم يكفروا مرتكب الكبيرة على الإطلاق بل ميّزوا بين الذنوب التى فيها حد واقع لا يسمّى أصحابها إلا باسم الذنب الموضـــوع لـــه ، كـــزان ،

---

[1] – دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين ، ص ٧٤ .

[2] – الفرق بين الفرق ، ص ٩١ .

[3] – انظر نفسه ، ص ٩١ ، الملل والنحل ، جـــ١ ، ص١٣٧ ، دراسة عن الفـــرق فـــى تاريخ المسلمين ، ص ٧٣ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

وسارق، وقاذف ، وقاتل عمد ، وليس صاحبه كافراً ولا مشركاً ، وكـــلّ ذنب ليس فيه حد كترك الصلاة والصوم ، فمرتكب هذه الذنوب يعتبرونه كافراً [1] .

٣- لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ، ولا يرون أن دار مخالفيهم دار حرب .

٤- لم يجيزوا سبى الذريّة والنساء .

٥- يذهبون إلى أن الشرك شركان : شرك هو طاعة الشيطان ، وشرك هو عبادة الأوثان ، والكفر كفران : كفر بإنكار النعم ، وكفر بإنكار الربوبية ، والبراءة براءتان : براءة من أهل الحدود سنة ، وبراءة من أهل الجحـــود فريضة .

٦- لم يسقط الصفرية عقوبة الرجم ، كما فعل الأزارقة ، وأجـــازوا التقيـــة كالنجدات ولكن فى القول دون العمل .

٧- ينسب إلى بعضهم جواز تزويج المسلمات (أى الخارجيات) من كفـــار قومهم (بقية المسلمين) فى دار التقية دون دار العلانية .

٤- الإباضية :

هم أصحاب عبد الله بن إباض التميمى ، عاش فى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى ، وهم أقرب فرقهم إلى الجماعة الإسلامية ، ومـــذهبهم أكثر تسامحاً من كل فرق الخوارج ، ولهذا كتب لهذه الفرقة البقاء دون سائر الفرق الخارجية ، فيوجد ذيهم حتى الآن جماعات فى المغرب العربى وعُمان،

---

[1] – الفرق بين الفرق ، ص ٩١ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

وذلك بسبب تسامحهم مع مخالفيهم وإنصافهم لهم ، فقد " كانوا أميل إلى المسالمة فلا يقاتلون أحداً إلا بعد الدعوة وإقامة الحجة وإعلان القتال [١] " .

وبناءً على مبدأ المسالمة عند الإباضية ، فقد اعتمدوا فى نشر مذهبهم، على إرسال الدعاة ليبشروا بهذا المذهب فى جميع النواحى التى يتوقعون حصول قبول مذهبهم فيها ، فقد كانت هذه أهم وسيلة لانتشار المذهب الإباضى فى كثير من الأقطار [٢] .

ولهذا نجد بعض الإباضية غاضبين ممن يعتبرهم فرقة من فرق الخوارج ويقولون إنما هى دعاية استغلتها الدولة الأموية لتنفير الناس من الذين ينادون بعدم شرعية الحكم الأموى كما أن للإباضية العديد من المواقف ضد الخوارج [٣] . فابن إباض لم يخض فى حروب الخوارج التى كانت على أشدها آنذاك بل إنه اكتفى بأن دخل فى جدال عنيف وصراع فكرى مع كل من الأمويين والخوارج ، فأنكر على الأمويين ظلمهم الناس وعدم إقامتهم العدل بينهم ، ورفض آراء الخوارج الأزارقة فى قولهم بشرك مخالفيهم وشرك مرتكب الكبيرة [٤] .

وربما تكون هذه المهادنة بين الإباضية والسلطة أيام عبد الله بن إباض الذى اتبع القعود ، ولكن بعد أن ظهر " عبد الله بن يحيى " الملقب بطالب الحق سنة ١٢٩هـ نجده يهاجم حضرموت ويستولى على اليمن ، وانضمّ إليه

---

[١] – الخوارج فى الإسلام : عمر أبو النصر ، ص ٤٣ ، مكتبة المعارف – بيروت ١٩٦٥م

[٢] – الخوارج : ناصر عبد الله السّعوى ، ص ٨٤ .

[٣] – الخوارج : د. عامر النجار ، ص ١٦٥ .

[٤] – دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين ، ص ٧٥ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

أبو حمزة ، المختار بن عوف الأزدى الذى كان يذهب إلى مكة ليستثير الناس على مروان بن محمد .

استولى أبو حمزة على مكة بسهولة ، وأحكم سيطرته على الحجاز بعد أن دخل المدينة إثر معركة قُديد سنة ١٣٠هـ . وقد هاجمه جيش الشام ، فخرج للقائه فى وادى القرى حيث هُزم وهرب إلى مكة ، فتبعه الأمويون وقبضوا عليه وعلى أصحابه فصلبوهم . ثم عاد الجيش نحو اليمن فَهُزم " طالب الحق " الذى قُتِل الكثير من أصحابه فى العام نفسه [١] . ولكنهم بعد ذلك استطاعوا أن يكونوا لهم دولة فى عمان استقلوا بها عن الدولة العباسية فى عهد أبى العباس السفاح ، وامتد نفوذهم إلى جزيرة زنجبار ، ولا تزال مبادئ الإباضية وأفكارهم هى السائدة فى عمان " [٢] ، كما انتشر مذهبهم فى المغرب العربى ، حيث وجدوا تقبلاً من البربر لمذهبهم ، وهم لا يزالون إلى يومنا هذا يتركزون فى تلك المناطق التى امتد إليها سلطانهم [٣] .

والإباضية كغيرها من الفرق ، لم تسلم من التفرق واختلاف الرأى ، فقد خرج فيهم جماعات متطرفة تميزوا بآراء خاصة عن جملة آراء الإباضية. ذكر البغدادى هذه الفرق فقال : " ثم افترقت الإباضية أربع فرق ، وهى : الحفصية ، والحارثية ، واليزيدية ، وأصحاب طاعة لا يراد الله بها .

واليزيدية منهم غلاة لقولهم بنسخ شريعة الإسلام فى آخر الزمان " [٤] .

---

[١] – الخوارج : على جَنّال ، ص ٤٢ ، ٤٣ .
[٢] – دراسة عن الفرق ، ص ٩٠ .
[٣] – الخوارج : ناصر عبد الله السّعوى ، ص ٨٥ .
[٤] – الفرق بين الفرق ، ص ١٠٤ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

أما عن مبادئ الإباضية فمنها ما يلى : [1]

١- أنهم يلتقون مع كل الخوارج فى إنكار التحكيم وقولهم : إنّ الإمامة لا تختص بقريش ، وعدم إقرارهم بشرعية الحكم الأموى .

٢- يقر الإباضية بأن سلفهم هم المحكمة الأولى ، بل ويعتبرون أنفسهم امتداداً للمعارضة التى أطاحت بالخليفة عثمان ، واعترفوا بخلافة على واعتبروا طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم من البغاة الذين خرجوا على الخليفة الشرعى ، وأنكروا قبول علىّ للتحكيم كما أنكروا قتله لأهل النهروان .

٣- يرون أن كفار الأمة (غيرهم من المسلمين) بُرَآء من الشرك والإيمان، وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار ، وأن دارهم ليست دار حرب ، وأجازوا شهادتهم ، وحرّموا دماءهم فى السر ، واستحلوها فى العلانية ، وصححوا مناكحتهم والتوارث منهم ، وقالوا باستحلال بعض أموالهم دون بعض ، والذى استحلوه الخيل والسلاح ، فأما الذهب والفضة فيردونهما على أصحابهما عند الغنيمة .

٤- لا يجيزون قتل النساء والأطفال ولا سبيهم .

٥- لا يعتبرون الخروج فرضاً لازما ، بل أباحوا لأفراد جماعتهم العيش فى ظل حكم الطغاة تقية ، للضرورة ، ويذهبون إلى أن الشراء أو بذل النفس أمر طوعى إذا فرضه الخارجون على أنفسهم .

---

[1] - انظر ، الفرق بين الفرق ، ص ١٠٣ ، دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين ، ص ٨٥ ، والخوارج لعلى جفّال ، ص ٤٩ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

هذه بعض مبادئ الإباضية إلاّ أن كثيراً من الإباضية لم يأخذوا بهـا حتى أن كثيرا من كتّاب الفرق قدماء ومحدثين أقروا بأن الإباضية أكثر الفرق الخارجية اعتدالاً وأقربها تفكيرا وسلوكاً إلى أهل السنة ، أما عن بعض الآراء التي يبدو فيها التطرف ، فقد هَبَّ الإباضية المعاصرون إلى رد بعض هـذه الآراء وتبرئة الإباضية منها ، أو إلى تفسيرها تفسيراً ينأى بهم عن التطـرف والخروج [1] .

☯ ☯ ☯

وبعد أن تعرفنا على أشهر فرق الخوارج ، نحاول أن نتوقف أيضـاً عند بعض الفظائع والشناعات التى ارتكبتها هذه الفرق لتصبح صورتهم جلية واضحة أمام المتلقى فلا يغتر بشعارات يرفعونها أو بشعرهم الذى يصـورهم على غير الحقيقة . فمن هذه الفظائع :

١- مباركة قتل الإمام على بن أبى طالب واعتبار مقتله تقرباً إلى الله . يقول عمران بن حِطان وهو من أئمة الخوارج الصفرية مادحاً عبد الرحمن بن مُلْجَمْ : [2]

يا ضربةً من منيبٍ مـا أراد بهـا
إلاّ ليَبْلغ من ذى العرش رِضْـوانا
إنـى لأذكـرُهُ يَوْمـاً فأحْسَـبُه
أوْفَـى البَرِيّـةِ عنـد الله ميزانـا

---

[1] – انظر ، دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين ، ص ٨٧ وما بعدها .
[2] – الملل والنحل ، ص ١٢٠ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

حتى أن البغدادى ناقض هذه الأبيات واضعا عبد الرحمن بن مُلجم فى مكانته الأصلية فقال [1] :

يا ضَرْبَة من كفور ما استفاد بهـا
إلاّ الجزاء بمـا يصـليه نيرانـا
إنّى لألعنه دنيـا ، وألعـن مَـنْ
يَرْجو لـه أبـداً عَفْـوا وغُفْرانـا
ذاك الشقىُّ لأشقى النـاس كلّهـمُ
أخفُهم عنـد رب النـاس ميزانـا

٢- تكفير الصحابة ، وهو مبدأ أجمعت عليه معظم فرق الخوارج وبالـذات عثمان وعلى بعد التحكيم ، والحكمين ومعاوية . يقول أحد الأسرى مـن أتباع شبيب بن يزيد الشيبانى عندما وقف أمام الحجاج : اسمع منى بيتين أختتم بهما عملى وأنشأ : [2]

أبرا إلى الله من عمـرو وشـيعته
ومن على ومن أصـحاب صـفين
ومن معاويـة الطـاغى وشـيعته
لا بارك الله فى القـوم الملاعـين

٣- اتخاذهم القتل مسلكاً . وبدأ هذا منذ بداية خروجهم على الإمام علىّ ، فعند النهروان " لقوا عبد الله بن خبّاب ، وفى عنقه المصحف ومعـه امرأتـه

[1] - الفرق بين الفرق ، ص ٩٣ .
[2] - الخوارج : ناصر السعوى ، ص ١٣٣ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

وهى حامل ، فقالوا : إن هذا الذى فى عنقك يأمرنا بقتلك ؛ فقال لهم : أحيوا ما أحيا القرآن ، وأميتوا ما أمات القرآن ، قالوا : حدثنا عن أبيك ؛ قال : حدَّثنى أبى قال : سمعت رسول الله ﷺ . يقول : تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسى مؤمناً ويصبح كافراً فكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ؛ قالوا فما تقول فى أبى بكر وعمر ؟ فأثنى خيراً ، قالوا فما تقول فى علىّ قبل التحكيم وفى عثمان ؟ فأثنى خيراً ، قالوا فما تقول فى الحكومة والتحكيم ؟ قال : أقول إن عليّا أعلم بكتاب الله منكم ، وأشد توقيا على دينه وأبعد بصيرة ؛ قالوا : إنّك لست تتبع الهدى بل الرجالُ على أسمائها ، ثم قرّبوه إلى شاطئ البحر فذبحوه فامذقَّر دمه أى جرى مستقيماً على دقة [1] ، ثم قتلوا جاريته وقتلوا النساء والأطفال ، حتى جعلوا يُلقونهم فى قدور الأقط وهى تفور [2] .

و كان حمزة بن أكرك – الذى كان ظهوره فى أيام هارون الرشيد سنة ١٧٩هـ – إذا قاتل قوماً وهزمهم أمر بإحراق أموالهم وعَقْرْ دوابهم ، وكان مع ذلك يقتل الأسرى من مخالفيهم [3] .

٤– قتل المسلمين وإجارة غير المسلمين ، حتى أنهم لما خرجوا إلى النهروان لقوا مُسلما ونصرانياً فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصرانى خيراً ، وقالوا احفظوا ذمَّة نبيكم [4] . وقصة واصل بن عطاء معروفة حيث جعل نفسه ورفقته

---

[1] – العقد الفريد ، جـ٢ ، ص ٣٨٤ – ٣٨٥ ، وانظر الفرق بين الفرق ، ص ٧٧ .

[2] – نفسه ، جـ٢ ، ص ٣٩٤ .

[3] – الفرق بين الفرق ، ص ٩٨ .

[4] – العقد الفريد ، جـ ٢ ، ٣٨٤.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

مشركين عندما مرّ بأرض فيها خوارج خوفاً من أن يقتلوهم ؛ يحكى القاضى التنوخى : أن أبا حذيفة واصل بن عطاء ، خرج يريد سفراً فى رهـط مـن أصحابه فاعترضهم جيش من الخوارج ، فقال واصل لأصحابه لا ينطق منكم أحد ، ودعونى معهم ، فقالوا : نعم ، فقصدهم واصل ، وأتبعه أصحابه ، فلما قربوا بدأ الخوارج ليوقعوا بهم .

قال : كيف تستحلون هذا ، وما تدرون ما نحن ، ولأى شىء جئنا .

قالوا : نعم ، فما أنتم ؟

قال : قوم من المشركين ، جئناكم مستجيرين لنسمع كلام الله .

قال : فكفّوا عنهم ، وبدأ رجل يقرأ عليهم القرآن ، فلما أمسك .

قال له واصل : قد سمعنا كلام الله ، فأبلغنا مأمننا حتى ننظر فى الدين .

فقالوا : هذا واجب فسيروا .

قال : فسرنا ، والخوارج – والله – معنا برماحهم يسيروننا ويحموننا ، عـدة فراسخ حتى قربنا من بلدٍ لا سلطان لهم عليه .

فقالوا : ذاك مأمنكم ؟

فقال واصل : نعم ، فارجعوا عنا ، فانصرفوا [1] .

قصة أخرى يحكيها ابن عبد ربه فى رجل يدعى ابن عرباض يقول : " بينما ابن عرباض يمشى مُقدماً لطيّته ، إذ استقبلته الخوارج يحزّون النـاس

[1] نشوار المحاضرة : للقاضى المحسّن أبى على التنـوخى ، جـ٢ ، ص ٢٠٥ –٢٠٦، وواصل بن عطاء استند إلى الآية : " وإن أحد من المشركين استجارك ، فأجره حتـى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه " (التوبة : ٩) ، وانظر الكامل للمبرد ، جـ٣ / ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

بسيوفهم ، فقال لهم : هل خرج إليكم فى اليهود شـــىء ؟ قـــالوا : لا ؛ فقـــال فمضوا راشدين وتركوه " [1] .

أى تحايل عليهم بأنه يهودى يبحث عن مجموعة من اليهود .

٥- الإيمان بالاستعراض وبالذات عند الأزارقة ، يقول الجاحظ عن قطرى بن الفُجاءة : " ... وكان يدين بالاستعراض والسِّباء ، وقتل الأطفال " [2] .

والاستعراض : أن يعترض الناس يقتلهم إذا لم يبالوا مَنْ قتلوا [3] .

٦- قتل أطفال مخالفيهم واعتبارهم مشركين إلحاقاً لهم بآبائهم الذين حكمـــوا عليهم بالشِّرك ، هذا رأى الأزارقة ، على أن أكثر الخـــوارج يـــرون أن أطفال المؤمنين فى الجنة وأطفال الكفار والمشركين مع آبائهم فى النار [4] .

٧- سبى نساء المسلمين واعتبارهم رقيقاً يجوز نكاحهم ، ومنها أن نجدة بـــن عامر الحنفى بعث ابنه مع جيش إلى أهل القطيـــف ، فقتلـــوا رجـــالهم ، وسبوا نساءهم وقوّموها على أنفسهم – أى كل منهم تخَير امرأة حتى قبل القسمة – ، وقالوا إن صارت قيمتهن فى حصصنا فـــذاك ، وإلاّ رددنـــا بالفضل ، ونكحوهن قبل القسمة ، وأكلوا الغنيمة قبل القسمة [5] .

٨- ومن شناعاتهم أيضاً نكاح المحارم كما تفعل فرقة الميمونية ، فكما روى عنهم البغدادى : " وزاد على القدرِّية بضلالة اشتقها من دين المجـــوس ،

---

[1] - العقد الفريد ، جـــ٢ ، ص ٤٦٥ .

[2] - البيان والتبيين ، جـــ٣ ، ص ٢٦٤ .

[3] - الأمالى للقالى : جـــ١ ، ص ١١٩ ، ولسان العرب مادة : عَرَض .

[4] - انظر الفرق بين الفرق ، ٦٢ ، ٦٣ ، مقالات الأشعرى ، ١ / ١٨٢ .

[5] - الملل والنحل ، ص ١٢٣ ، الفرق ٨٨ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

وذلك أنه أباح نكاح بنات الأولاد من الأجداد ، وبنـــات أولاد الأخـــوة ، والأخوات ، وقال : إنما ذكر الله تعالى فى تحريم النساء بالنسب الأمهات والبنات والأخوات ، والعمّـــات ، والخـــالات ، وبنـــات الأخ ، وبنـــات الأخوات، ولم يذكر بنات البنات ، ولا بنـــات البنـــين ، ولا بنـــات أولاد الأخوة ، ولا بنات أولاد الأخـــوات [١] " ، فالميمونيـــة علـــى الإجمـــال : " يجيزون نكاح بنات البنات ، وبنات أولاد الأخوة والأخوات ، وقـــالوا : إن الله تعالى حرّم نكاح البنات ، وبنات الأخوة والأخوات ، ولـــم يحـــرم نكاح أولاد هؤلاء [٢] " .

٩- تشبيه الله بخلقه – كما فعل أتباع شيبان بن سلمة الخارجى الذى خرج فى أيام أبى مسلم الخرسانى صاحب دولة بنى العباس ، وكان مع ذلك يقـــول بتشبيه الله سبحانه وتعالى لخلقه فأكفره سائر الثعالبة مع أهل السنة فـــى قوله بالتشبيه [٣] .

١٠- إغفال سنة الرسول ﷺ ، فقد خالفت الخوارج ما عليه المسلمون مـــن التمسك التام بسنة الرسول ﷺ ، فقد أظهروا التمســـك الشـــديد بـــالقرآن الكريم، وأغفلوا التمسك بالحديث النبوى ، قال شيخ الإسلام ابن تيميـــة : " الخوارج الحرورية كانوا ينتحلون اتباع القرآن بآرائهم ، ويَدَعُون اتِّباع السنة التى زعموا أنها تخالف القرآن " [٤] .

١- الفرق بين الفرق ، ص ٢٨١ .

٢- الملل والنحل ، ص ١٢٩ .

٣- الفرق بين الفرق ، ص ١٠٢ .

٤- الخوارج : ناصر السعدى ، ص ١٧٦ ، وانظر فتاوى ابن تيمية ، ١٢٨ / ٤٩١ .

١١- ومن بدعهم كما يقول الأشعرى : " أنهم أنكروا رجم الزانى المحصن وقالوا : إنه غير مشروع .

وقد احتجوا بما يلى :

أولاً : أنه ورد حد الزنا فى القرآن ولم يرد فيه الرجم ، فتخصيص الزانى المحصن بالرجم مخالف للقرآن فى زعمهم .

ثانياً : أنه ورد فى القرآن أنه على الأمةَ إذا زنت نصف حد الحرّة ، قال تعالى : " فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب .." النساء /٢٥، والرجم لا يتجزأ ، فدل هذا على عدم مشروعيته [١] .

وهذا لأنهم أنكروا سنة الرسول ﷺ فى الحقيقة .

١٢- إنكار سورة يوسف " فيحكى عن العَجاردة أنهم ينكرون سورة يوسف من القرآن ويزعمون أنها قصة من القصص ، وقالوا : ولا يجوز أن تكون قصة العشق من القرآن " [٢] .

وقد قصر البغدادى هذا الرأى على الميمونية فقط من العجاردة ، وقال ومنكر بعض القرآن كمنكر كله [٣] .

١٣- إنكار صلاة الجمعة واعتبارها لا تغنى عن صلاة الظهر ، فصلاة الظهر فى عقيدتهم واجبة أما الجمعة فلا . يحكى التنوخى : " حدثنى أبو الحسن محمد بن غسّان بن عبد الجبار ، قال : رأيت بعُمان شيخاً من

١- مقالات الإسلاميين ، ١ / ١٧٣ .

٢- الملل والنحل ، ص ١٢٨ .

٣- الفرق بين الفرق ، ص ٢٨١ .

الخوارج، قد دخل فى يوم جمعة من ناحية بلد الشراة ، إلى السوق بعُمان، وكانت طريق الناس إلى الجامع ، والناس يتعادون إلى حضور الجمعة، خوفاً من فوتها ، والخارجى ماشى الهُوينا فى حاجته ، لا يراعى أمراً لجمعة، فإذا بشيخ قد جاء من ناحية الجامع ، فالتقيا ، فقال الشيخ للخارجى ، وهو لا يعرفه ، وقدّر أنه يريد الجامع : إلى أين تمضى يا شيخ ، وقد صلّى الناس وفاتتك الصلاة ؟ فقال الخارجى : يا أبله ، إنما فاتت من أدركها ، يريد أن التجميع معهم ، لا يسقط الفرض ، الذى هو الظهر ، وإذا هو جمّع معهم ترك الظهر ، فتفوته الصلاة الواجبة ، وهى الظهر ، ويصلّى مالا يجزى عنه فى مذهبه من تكفيرهم .

قال : ولم يفهم الشيخ ما سمعه .

وقلت أنا للخارجى : أظنّك – أعزك الله – شارياً ؟

قال : فقال : نعم والحمد لله .

قال : وهم يستحبّون أن يقال لهم شراة ويأبون أن يقال لهم : خوارج [1] .

١٤- وأكثر فرق الخوارج أنكروا عذاب القبر ، ونفوه مطلقاً ، فهم لا يقولون به ، ولا يرون أن أحداً يعذب فى قبره [2] .

١٥- بعضهم ينكر أن يكون محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن رسالته آخر الرسالات ، فاليزيدية أتباع يزيد بن أُنيسة الخارجى ، وكان على رأى الإباضية من الخوارج ثم إنه خرج على قول جميع الأمة، لدعواه أن الله عزّ وجل يبعث رسولاً من العجم ويُنزل عليه كتاباً من

١- نشوار المحاضرة : جـ٨ ، ص ٦٩ .

٢- مقالات الإسلاميين ، جـ١ ، ٢٠٦ .

السماء وينسخ بشرعه شريعة محمد ﷺ ، وزعم أن أتبـاع ذلـك النبـى المنتظر هم الصابئون المذكورون فى القرآن ، فأما المسمَّوْن بالصابئة من أهل واسط وحرّان فما هم الصابئون المذكورون فى القرآن [1] .

☯ ☯ ☯

فهذه بعض الفظائع والجرائم والشناعات التى ارتكبها الخوارج ، وهى أمثلة بسيطة تدل على جرائمهم ومعتقداتهم الفاسدة ، فهل كان الخوارج بعـد هذا أتقياء ، يطرح الدكتور مصطفى الشكعة هذا السؤال ويجيب عليه ، يقول :

" ولكن هل كان الخوارج يتصفون بالتقوى حقيقة ؟ إذا كانت التقوى هى التعبد ليلاً والتبتل سحراً ، والحرب المقدسة نهاراً ، فلقد كانوا كذلك ، وأما إذا كانت التقرى هى العبادة والتعبد والجهاد وحسن معاملة الناس وحفظ دمائهم وأموالهم والبعد عن الفتنة وتجنيب الإسلام دماءً طاهرة سالت فى كل مكـان ، وروّت أرض العراق ونجد والحجاز ، فإنهم لم يكونوا كذلك ، لقد كرّموا ذكرى أبـى بكـ وعمر وبرئوا من عثمان وكفّروا علياً والزبير وطلحة .

لقد حاولوا أن يبايعوا عبد الله بن الزبير على شريطة أن يحكم بكفـر أبيه (الزبير) ويكفّر كلاً من (علىّ) و(طلحة) ، وهو ما لم يقرّبه عاقل مسـلم يفهم دينه، وهم بالإضافة إلى ذلك كانت أسلحتهم شديدة الحماقة علـى رقـاب المسلمين ، إذا قابلوا مسلماً قتلوه وإن قابلوا ذمّياً حفظوا عليه حياتـه ، فـإذا سئلوا فى ذلك قالوا : لا نقتل الذمّى حتى نحفظ ذمّة نبينا [2] ، حتى لقد اضطر

١- الفرق بين الفرق ، ص ٢٧٩ – ٢٨٠ ، وانظر الملل والنحل ، ص ١٣٦ .

٢- الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية ، جـ١ (الشعر) ص ١٤٥ .

واصل بن عطاء – رأس المعتزلة – كما أسلفنا أن ينكر شخصيته ويذكر لهم أنه ذمى بعد أن صادفوه وخشى على خياته منهم .

وكانوا يخرجون على أئمة المسلمين لأتفه الأسباب ، فكانوا أصحاب غارات وثورات ، فكم سفكوا من دماء ، وكم قطعوا من سبيل ، وكم ضيعوا من حقوق ، وسعوا فى إضعاف المسلمين وتفريق كلمتهم ، حتى تكالب عليهم الأعداء من كل جانب .

☯ ☯ ☯

وبعد فهذه هى البيئة الفكرية والسياسية التى نشأت فيها المرأة الخارجية – مدار بحثنا – فلابد أنها قد شربت من موردهم الآسن ، ورضعت أفكارهم الفاسدة ، ولهذا سنجدها مجاهدة مقاتلة ولكن ضد جموع المسلمين ، وسنجدها إنسانة ولكن تحت علاقة خارجى إما أن تكون زوجة أو ابنة ، وسنجدها فصيحة بليغة يتقطر الشعر على لسانها ، ولكن فى الموضوعات التى تخص الخوارج فقط .

ومن هنا سنحاول أن يدور البحث حول المرأة الخارجية : مقاتلة ، وإنسانة ، وشاعرة ، فلعلنا نستطيع أن نجلى أموراً لم تكن معروفة أو نصحح أفكاراً كانت مغلوطة ، من خلال دراسة المرأة الخارجية إن شاء الله .

الفصل الأول

المـــرأة مقاتلـــة

من خلال دراستنا لشعر الخوارج وجدنا المرأة فى شعرهم تختلف عنها فى الأشعار الأخرى . فلم نرها عاشقة مثلما كانت عند عمر بن أبى ربيعة . ولم نرها أملاً وحلماً صعب المنال كما كانت عند الشعراء العذريين ولكننا وجدناها زوجاً وأماً وأختاً وابنة وفى هذا الفصل سنحاول أن نتوقف عند سمة خاصة تميزت بها المرأة الخارجية دون نساء عصرها ، وهى المرأة المقاتلة ، فالزوجة زوجة مقاتلة ، والأم أم مقاتلة ، والأخت أخت مقاتلة . والابنة كذلك . كل واحدة منهن تتسم بالشجاعة والاستبسال والدفاع عن المبدأ حتى ولو كلفها ذلك حياتها . بل هى تسعد بتقديم حياتها من أجل المبدأ والحق الذى تراه .

ولا نريد أن يأخذنا حسن الظن بعيداً فنظن أن المرأة الخارجية – والخوارج عموماً – كانت تقدم نفسها قرباناً لله تقف فى وجه أعدائه الحقيقيين. ولكن كل القتال وما يبدر معه من الشجاعة والاستبسال والعنف والقوة ، كان موجهاً إلى جسد الدولة الإسلامية ذاتها ممثلة فى حكامها ولم يسلم المسلمون عموماً من أذى الخوارج سواء بالقتل أو ترويع الأمن أو سلب الأموال ، وغير ذلك ؛ ما داموا لا يعتقدون ما يعتقده الخوارج . فكل قتال الخوارج للأسف الشديد كان موجهاً للداخل مما أوهن جسد الدولة الإسلامية فى كثير من الأحيان فانشغلت بهم عن نشر الدعوة الإسلامية .

المهم أن المرأة الخارجية كانت تتمتع بكل صفات القوة والشجاعة والإيمان العميق بالمبدأ والذود عن الحق . ولكن المبدأ الذى تعتقده والحق الذى تراه وهو فى الغالب خارج عن كل مقاييس الدين الحنيف .

والمرأة الخارجية كانت تشارك فى القتال مشاركة فعلية بحيث كانت لها صولات وجولات فيه مثل : (غزالة الشبيبية) و(أم حكيم) . أو كانت تحث

على القتال وتدفع إليه مثل (قَطام) التى هيأت الظروف لقتل علـــى بـــن أبـــى طالب رضى الله عنه و(جمرة) زوجة عمران بن حطان التى غيرت معتقـــده من مذهب أهل السنة إلى مذهب الخوارج .

والمرأة الخارجية فى كل الأحوال التى كانت تقابلها كانت شُـــجاعة : شُجاعة وهى تطلب المشاركة فى القتال ، شجاعة وهى تقاتل ، شجاعة وهى تواجه المواقف الصعبة ، شجاعة وهى تواجه نبأ موت فلذة كبدها أو استشهاده كما ترى .

والشعر الخارجى قدم لنا صوراً عديدة لنساء خارجيات اســتطعن أن يسجلن أسماءهن بين صفحات التاريخ . أجبروا الجميع على احترامهن سواء من يتفق معهن أو يختلف .

فهذه امرأة خارجية تحاول أن تنفر مع زوجها لمشاركته فى القتـــال ، على أن تكون قريبة منه تشد من عضده ولكنه يحاول أن يثنيها عن ذلك . لا لـ يء إلا لأنها لا تستطيع أن تصنع مثلما يصنع الرجال من ركوب الخيل أو السير بسرعة مثلما يفعلون . يقول أحد الخوارج لامرأتـــه وأرادت أن تنفـــر معه[1] :

إن الحرورية الحَـــرّى إذا ركبـــوا
لا يستطيعُ لهـــم أمثالُـــك الطَلَبَـــا
إن يركبوا فرساً لا تركبى فرســـاً
ولا تطيقى مـــع الرجّالـــة الخببـــاَ

---

[1] – شعر الخوارج : تحقيق د. إحسان عبـــاس ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، والبيـــان والتبيـــين للجاحظ جـــ٣ ، ص ٣١٦ .

فهذه امرأة كانت تطلب مرافقة زوجها فى القتال ولم تتمكن من ذلك أما إذا تمكنت وأعلنت خروجها فهى لا تبالى ما سيفعل بها إن لاحقها القوم وظفروا بها . يقول المبرد : " خرج قُرَيْبُ بن مُرَّة الأزْدى وزحاف الطائى . ويقال : أخرجوا معهم امرأة فظفِرَ بها – يعنى زياد بن أبيه – فقتلها ثم عَرَاها فلم تخرج النساء بعدُ على زياد ، وكُنَّ إذا دُعِينَ إلى الخروج قُلن : لولا التعرية لسارعنا " [1] .

أو وجدنا بعضهن من رمَيْنَ بالفجورِ وعَدم الشرف لخروجهـا مـع رجال ربما من غير محارمها . يقول المبرد :" وكان الخوارج أيام ابن عامر أخرجوا معهم امرأتين ، يقال لإحداهما كُحَيْلة والأخرى قَطَامِ ، فجعَلَ أصحَابُ ابن عامر يُعَيِّرُونهم ويصيحون بهم : يا أصحاب كُحَيْلة وقطام : يُعرِّضون لهم بالفجور فتناديهم الخوارج بالدّفع والرّدع ويقول قائلهم : (ولا تَقْفُ ما لَيْسَ لك به علم) " [2] .

أو نجد بعضهن يتمتعن بشجاعة بالغة حتى عند مقاتلة أعتى الأعداء وأشدهم جبروتاً وقسوة مثل الحجاج . يروى الجاحظ : " وقال الحجاج لامرأة من الخوارج واللهِ لأعُدَنكم عَدًا ولأحْصُدَنكم حصداً . قالت : أنت تحصُدُ والله يزرع ، فانظر أين قدرة المخلوق من قُدرة الخالق " [3] .

رواية أخرى يرويها المبرد تبين مدى جرأة المرأة الخارجية وتبين أيضاً مدى تغلغل رجال الخوارج حتى فى بيت الحجاج يقول : " وذكرت الرُّواة أن الحجاج أتى بامرأة من الخوارج ، وبحضرته يزيد بن أبى مُسلم

---

[1] – الكامل للمبرد ، جـ٣ ، ١١٧١ .

[2] – نفسه : جـ٣ ، ١١٧٢ .

[3] – البيان والتبيين للجاحظ ، جـ٢ ، ص ٣١٦ .

مولاه وكان يستتر برأى الخوارج ، فكلَّم الحجاج المرأة فأعرضت عنه ، فقال لها يزيد بن أبى مسلم : الأمير ويلك يكلِّمك ! فقالت بل الويل والله لـك أيهـا الفاسقُ الرِّدّى ، والرِّدّى عند الخوارج هو الذى يعلم الحقَ من قولهم ويكتمه"[1] .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل يصل إلـى أن تُعـرِّض المـرأة الخارجية نفسها للموت صلباً ، جاء فى أعلام النساء فى أخبار حمّادة الصوفية " عابدة من عابدات الخوارج بالشام كانت ذات رياسـة ونفـوذ فـى قومهـا وفصاحة وبيان وقتلت صلبا " [2] .

نماذج أخرى لنساء خارجيات . هذه المرأة التى لم تبخل على عقيدتها بابنها وفلذة كبدها وربما وحيدها . فتقدمه هبة لله فيما تعتقد . يروى المبرد فى معرض حديثه عن الخوارج : " وكان فى القوم كَهْمَسٌ وكان من أبرّ النـاس بأمّه ، فقال لها : يا أُمَّهْ ، لولا مكانك لخَرجْتُ ، فقالت : يا بُنىَّ قد وهبتك لله"[3]

أو هذه المرأة التى تفرح بموت ابنها لأن الله كتب له الشهادة التى كان يتمناها . يروى الأصفهانى : " فقالت امرأة من الشراة وهى أم عمران قاتـلُ الحجاج بن باب وقتيلُه ترثى ابنها عمران :

الله أيّـــد عمرانـــا وطهـــرّه
وكان عمران يدعو الله فى السَّحرِ
يـدعوه سِـرّا وإعلانـاً ليرزقـه
شـهادة بيـدى ملحـادة غـدر

---

[1] – الكامل للمبرد ، جـ٣ ، ١١٥٥ .
[2] – أعلام النساء لكحالة : جـ١ / ٢٩٢ .
[3] – الكامل للمبرد ، جـ٣ / ١١٨٢ .

ولى صحابتُه عــن حــرِّ ملحمــةٍ
وشدَ عمرانُ كالضــرغامة الــذكر[1]

المهم أن نساء الخوارج كرجالهم " آمنوا بدعوتهم الدينية وبــدعوتهم السياسية إيماناً يقف العقل عنده حائراً ، قست الدولة علــيهم قســوة شــنيعة فاحتملوا القتل والصلب والتشهير وفقء العيون وأنــواع العــذاب صــابرين مستبسلين " [2] . وكأنهم كما يقول شاعرهم فروة بن نوفل :

ما إن أبالى إذا أرواحنــا قُبِضــت
مــاذا فعلــتم بأوصــال وأبشــار
تجرى المجرَّةُ والنّســران بينهمــا
والشمسُ والقمرُ السارى بمقــدار
وقد علمتُ وخيــر القــول أنفعُــهُ
أن السعيد الذى يَنجو مــن النــارِ

بقى بعد هذا أن نفصّل القول فى حياة مجموعة من نساء الخوارج كان لهن الأثر البالغ فى مسيرة الدعوة الخارجية كُل منهن كانت لها صلة وثيقــة بقائد أو أمير من قادة الخوارج وأمرائهم كما سنرى .

---

[1]- الأغانى : جـ٨ / ٤ ، ٥ ، دار صعب ، بيروت .

[2] - د. عزيز فهمى : المقارنة بين الشعر الأموى والعباسى فى العصــر الأول ، تحقيــق محمد قنديل البقلى ، ص ١٢٣ ، دار المعارف بمصر .

قطام بنت الشجنة التيمية

جاء عنها فى أعلام النساء " من ربات الحسن والجمال والفصاحة والبلاغة والنسك والزهد والدهاء والسياسة ، قتل أبوها وأخوها يوم النهروان وكانوا من الخوارج فرآها عبد الرحمن بن ملجم المرادى فالتبست بعقله وهام بها هياما عظيماً فخطبها " [1] ، ويؤكد الرواية أبو حنيفة الدينورى فيقول : وكانت قطام ترى رأى الخوارج ، وقد كان علىّ قتل أباها وأخاها وعمَّها يوم النهر ، فقالت لابن ملجم : لا أتزوجك إلاّ على ثلاثة آلاف درهم ، وعبد وقينة ، وقتل علىّ بن أبى طالب : فأعطاها ذلك وأملكها " [2] .

فقطام كانت ترى رأى الخوارج وأهلها كانوا يذهبون إلى ما يذهب إليه الخوارج أيضاً .

يقتل علىّ أباها وأخاها وعمها أو قتل علىّ من أهلها تيم الرباب عشرة – كما يروى الطبرى – فى معركة النهروان . ماذا نظن بامرأة كهذه إلا أن يملأها الحقد الدفين لأعداء مذهبها وتغلب عليها نزعة الأخذ بالثأر من قتلة أقرب الناس إليها من أهلها فلا تتورع عن استخدام حسنها وجمالها ودهائها كأسلحة فتاكة ضد أعدائها ، بل رأس أعدائها أمير المؤمنين على بن أبى طالب. فتطلب من خاطبها ثلاثة آلاف درهم وعبداً وقينة لحسنها وجمالها . وتطلب قتل على بن أبى طالب ثأراً لقتلة أهلها وللحقد الدفين الذى يسيطر عليها .

---

[1] – أعلام النساء : رضا عمر كحالة ، جـ٤ / ٢٠٩ .

[2] – الأخبار الطوال ، ص ١٩٧ .

والخاطب لم يفكر فى الأمر كثيراً ولم يستصعب المهر لأن الظروف جمعتهما على طريق واحد وحول رغبة واحدة . فإن ابن ملجم لم يأت إلى الكوفة إلاّ من أجل قتل على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقبل عبد الرحمن بن ملجم شروط المهر . وأصبح مهر قَطامِ الذى طلبته من عبد الرحمن بن ملجم حديث العرب والعجم . يقول شاعر الخوارج ابن أبى مياس المرادى . يسجل للتاريخ هذه الشروط التى يراها هو لا يطلبها إلاّ أصحاب السماحة ! :

ولم أر مهراً ساقه ذو سماحة
كمهر قطامٍ من فصيح وأعجم
ثلاثة آلافٍ وعبدٍ وقينةٍ
وضَربِ علىٍّ بالحسام المصمِّم
فلا مهرَ أغلى من علىٍّ وإن غلا
ولا قَتْلَ إلاّ دون قتلك ابن ملجم [1]

وما أقسى هذه الشروط ! وما أقسى قلب من نفذها ! ولكن ماذا فعلت قطام ؟ وهى التى شاركت فى قتل الإمام بالتخطيط والإمداد والمتابعة وللعجب أنها صنعت كل هذا وهى معتكفة فى المسجد الأعظم بالكوفة . لنسير مع الرواية من أولها كما أوردها محمد بن جرير الطبرى يقول : عن عبد الرحمن بن ملجم فى قصة قتل على بن أبى طالب : " فإنه رأى ذات يوم أصحاباً من تيم الرباب وكان علىٌ قتل منهم يوم النهر عشرة فذكروا قتلاهم ولقى من يومه ذلك امرأة من تيم الرباب يقال لها قَطامِ ابنة الشجنة وقد قتل أبوها وأخوها يوم النهر وكانت فائقة الجمال فلما رآها التبست بعقله ونسى حاجته التى جاء لهـا

١- شعر الخوارج ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، الأخبار الطوال ، ص ٢١٤.

ثم خطبها فقالت : لا أتزوجك حتى تشفى لى قال وما يشفيك ؟ قالت : ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علىّ بن أبى طالب قال هو مهر لك . فأما قتل على بن فلا أراك ذكرته لى وأنت تريدينني قالت بل ألتمس غرته فإن أصبت شفيت نفسك ونفسى ويهنئك العيش معى وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها . قال فوالله ما جاء بى إلى هذا المصر إلاّ قتل علىّ فلك ما سألت قالت : إنى أطلب لك من يسند ظهرك ويساعدك على أمرك ؛ فبعثت إلى رجل من قومها من تيم الرباب يقال له وردان فكلمته فأجابها .

وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بجرة ... فجاءوا قطام وهى فى المسجد الأعظم معتكفة فقالوا لها لقد أجمع راينا على قتل علىّ قالت فإذا أردتم ذلك فأتونى ثم عاد إليها ابن ملجم فى ليلة الجمعة التى قتل فى صبيحتها (علىّ) سنة ٤٠ هـ فقال هذه الليلة التى واعدتُ فيها صاحبى أن يقتل كل واحد منا صاحبه فدعت لهم بالحرير فعصبتهم به وأخذوا أسيافهم مقابل السّدة التى يخرج منها على . فلما خرج ضربه شبيب بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب أو الطاق وضربه ابن ملجم فى قرنه بالسيف ، وهرب وردان حتى دخل منزله فدخل عليه واحد من بنى أبيه وهو ينزع الحرير عن صدره فقال ما هذا الحرير والسيف ؟ فأخبره بما كان وانصرف فجاء بسيفه فعلا به وردان حتى قتله . وخرج شبيب نحو أبواب كندة فى الغَلَس ... "[1] .

---

[1] – تاريخ الأمم والملوك للطبرى : جـ٣ / ٨٣ ، ٨٤ ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت . لبنان ، وانظر أعلام النساء رضا عمر كحالة جـ٤ / ٢١٠ .

وهكذا خططت قطام وأشرفت على التنفيذ والعجيب أن عبد الرحمن بن ملجم عندما أمسكوا به وعمدوا إلى قطع لسانه ، جزع . فسئل عن ذلك ، فقال : " أحببت أن لا يزال فمى بذكر الله رطبا " [1] .

أليس هذا مثاراً للتأمل . قطام تخطط وهى معتكفة فى المسجد وابن ملجم يقدم قتل أمير المؤمنين على بن ابى طالب قرباناً لله فيتقرب إلى الله بانتهاك حرماته .

أليس خوارج الأمس أشبه بخوارج اليوم .

والأعجب من كل هذا أن يقف شاعرهم عِمران بن حطان والذى اشتهر بالعلم والتقوى ليمتدح هذا الفعل الشنيع ويمدح مرتكبيه مشيداً بالدور الذى قام به عبد الرحمن بن ملجم . يقول :

لله درّ المرادىّ الذى سفكت
كفاه مهجة شرّ الخلق إنسانا
أمسى عشيّة غشّاه بضربته
مما جناه من الآثام عريانا
يا ضربةً من تقىٍّ ما أراد بها
إلاّ ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إنى لأذكره حينا فأحسبه
أوفى البرية عند الله ميزانا
أكرمْ بقوم بطونُ الطير قبرهمُ
لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا [2]

---

[1] – الكامل للمبرد ، جـ٣ / ٩٣١ .

٢– شعر الخوارج ، ص ١٤٧ .

وشاعر خارجى آخر يبارك قتل الإمام شامتاً . يقول ابن أبى مياس المرادى :

ونحن ضربنا يالك الخير حيدرا
أبا حسن مأمومة فتقطّرا

ونحن حللنا ملكه من نظامه
بضربة سيف إذ علا وتجبرا [1]

وهكذا نجد أن قطام قد شاركت فى جريمة قتل الإمام على وأن يديها ملطختان بدمه . مدفوعة إلى ذلك بإيمانها بمعتقدها وحقدها الدفين الذى امتلأ به صدرها نظراً لمقتل أبيها وأخيها وعمها .

ولكن ينبغى ألا نحمل قتل الإمام علىّ لقطام بمفردها ، أو لابن ملجم بمفرده أولهما معاً ولكن الأمر تم حسب خطة مدروسة للخوارج : يقول أحد الباحثين : " إن الباحث فى أمر اغتيال علىّ ، يظهر له أن هذا العمل لم يكن عملاً فردياً وثأراً لأقارب قطام الذين قتلوا يوم النهر ، بل كان عملاً مدروساً ومدبراً من قادة الخوارج ، الذين أرادوا بذلك أن يهدموا إمامة على بقتله ... وأن ابن ملجم كان أداة تنفيذ الجريمة ليس غير " [2] .

فالخوارج عملوا على إزاحة على من طريقهم ، لأنه كان يشكل عقبة كأداء أمام طموحهم فى السيطرة على الدولة الإسلامية . وما قطام وابن ملجم إلاّ بداية لطريق طويل . مّلطخ بالدماء .

١- تاريخ الأمم والملوك للطبرى ، جـ ٦ ، ص ٨٦ .

٢ - الخوارج فى العصر الأموى ! د. نايف معروف ، ص ١٠٥ ، دار الطليعة بيروت . لبنان . الطبعة الرابعة ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

كُحَيْـــلة

كانت تؤمن بما آمنت به قطام . حتى أنها خرجت معها ولازمتهـا . جاء فى أعلام النساء " كحيلة من ربات الفصاحة والبيان والنسك والزهد كانت تخرج مع الخوارج هى وقطام فجعل أصحاب ابن عامر يعيرونهم ويصيحون بهم يا أصحاب كحيلة وقطام يعرضون لهم بالفجور فتناديهم الخوارج بالـدفع والردع " [1] .

زوجة حيان بن ظبيان السلمى

لم ترهب الخوارج هزيمة النهروان ولا الهزيمة فى معركة النخيلة ، ولكنهم سرعان ما أجمعوا على الالتفاف حول المستور بن علقة التيمى وأوكلوا أمرهم إليه .

ويولى معاوية على الكوفة المغيرة بن شعبة الذى قرر أن يسير فـى الناس سيرة حسنة ينظر فيها إلى نفسه وأن يتغاضى عن الخوارج فى بـادئ الأمر . واستغل الخوارج إغضاء المغيرة بن شعبة عن تحركـاتهم فأخـذوا يجتمعون فى دار حيان بن ظبيان الذى كان يحرضهم بقوله :

خليلىَّ ما بى من عزاء ولا صـبر
ولا إربة بعـد المصـابين بـالنهر
سوى نهضات فى كتائـب جمـة
إلى الله ما تدعو وفى الله ما تضْرى [2]

---

[1] – أعلام النساء : جـ ٤ / ٢٣٧ .

٢– تاريخ الأمم والملوك للطبرى ، جـ ٦ ، ص ٨٧ .

وكان حيان من هؤلاء الذين قاتلوا علياً يوم النهروان ، وقد عفا عنه عَلِيٌ عندما أصابه جرح فى هذه الموقعة . فلما برئ خرج وجماعته من الخوارج إلى الرى وأقاموا بها حتى بلغهم قتل على . فحث حيان من معه من الخوارج على المسير إلى الكوفة ومناجزة أعدائهم . واتفقوا على أن يكون خروجهم فى غرة شعبان سنة ٤٣ هـ " [١] .

ولما علم المغيرة بأمر الخوارج شدد فى طلبهم وعول على القضاء عليهم قبل أن يشتد خطرهم . فأمر شرطته بإحاطة مكان اجتماعهم فى دار حيان بن ظبيان .

وهنا يبرز دور زوجة حيان بن ظبيان . فتنجح فى إخفاء السلاح . وادعى المؤتمرون أنهم مجتمعون لقراءة القرآن على حيان ؛ ولكن المغيرة سجن جماعة منهم حيان بن ظبيان . وضيق على جماعة أخرى حتى غادروا الكوفة وأخذوا ينتقلون فى البلاد الإسلامية [٢] .

مما سبق يتضح دور المرأة الخارجية التى لم تكن على علم بما يدور حول فكر الجماعة وخططهم فحسب بل كانت على علم بجمع السلاح وإخفائه عند الضرورة ، وبهذا كانت سبباً فى حمايتهم من بطش الأمير والذى ربما يصل إلى قتلهم .

---

[١] – تاريخ الطبرى : جـ٦ / ١٠٠ .
[٢] – نفسه : جـ٦ / ص ١٠٤ .

الشـــجّاءِ الخارجيـــة

امرأة ضربت المثل فى الجرأة والإقدام وعدم الرهبة ، جاء فى أعلام النساء : " جىء بها إلى زياد بن أبيه . فقال لها ما تقولين فى أمير المـــؤمنين معاوية ؟ قالت : ماذا أقول فى رجل أنت خطيئة من خطاياه ، فقـــال بعـــض جلسائه أيها الأمير : أحرقها بالنار . وقال بعضهم اقطع يديها ورجليها . وقال بعضهم : اسمّل عينيها ، فضحكت حتى استلقت وقالت : عليكم لعنة الله ، فقال لها زياد مم تضحكين ؟ فقالت : كان جلساء فرعون خيراً من هـــؤلاء . قـــال لها: ولم ؟ قالت : استشارهم فى موسى فقالوا : أرجه وأخاه . وهؤلاء يقولون: اقطع يديها ورجليها واقتلها . فضحك منها وخلى سبيلها " [1] .

أرأينا كيف أن هذه المرأة لم تخف من أمير كان معروفـــاً بجبروتـــه ودهائه. وكيف أن علمها وسرعة بديهتها أنقذاها من القتل ! .

---

[1] – أعلام النساء : جـــ٢ ، ص ٢٨٥ .

البَلْجَاء الخارجية

امرأة من بنى حرام بن يربوع ، من رهط سَجَاح التى كانت تنبـــأت وكانت من مجتهدات الخوارج [1] رفضت أن تأخذ بالتقيّـــة فتســـتر مـــذهبها . واجهت عبيد الله بن زياد غير خائفة ، ولم تفكر فيما سيئول إليه مصيرها . ولم تأخذ برأى أبى بلال مرداس بن أدية أحد فرسان الخـــوارج وأتقيـــائهم . يقول المبرد : "وكان مرداس بن جُدَيْر أبو بلال تعظمّـــه الخـــوارج وكـــان مجتهداً ، كثير الصواب فى لفظه ، فلقيه عَيْلان بن خَرَشَة الضَبّى ، فقال : يا أبا بلال ، إنى سمعت البارحة الأمير عُبَيْد الله بن زياد يذكر البَلْجَاء ، وأحسبها ستؤخذ ، فمضى إليها أبو بلال ، فقال لها : إن الله قد وَسَّع على المؤمنين فى التقيّة فاستتّرى ، فإنّ هذا المْسرف على نفسه الجبار العنيد قد ذكرك ، فقالت : إن يأخُذْنَى فهو أشقى له ، فأما أنا فما أحُبّ أن يُعنّت إنسانٌ بســـببى ، فوجَّـــه إليها عُبَيْدْ الله بن زياد فأتى بها فقطع يديها ورجليها ورمى بها فى الســـوق ، فمرَّ أبو بلال والناسُ مجتمعون ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : البَلْجَاءُ ، فعرّج إليها فنظر ، ثم عَضَّ على لِحْيته ، وقال لنفسه : لَهذِه أطيب نفساً عن بقية الـــدنيا منك يا مرداس " [2] .

وهكذا تموت البلجاء شهيدة المذهب الخارجى .

---

[1] – أعلام النساء : جـ١ / ١٤١ .

[2] – الكامل للمبرد : جـ٣ / ١١٧٣ ، ١١٧٤ .

زوجة نافع بن الأزرق

ونافع بن الأزرق هو صاحب فرقة الأزارقة . " ولم تكن فى الخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد شوكة من الأزارقة ، وقد كفّر نافع وأصحابه عليّاً بن أبى طالب وجميع المسلمين ، وقال نافع إنه لا يحل لأصحابه المؤمنين أن يجيبوا أحداً من غيرهم إذا دعاهم للصلاة ، ولا أن يأكلوا من ذبائحهم ولا أن يتزوجوا منهم . وهم فى نظره مثل كفار العرب وعبدة الأوثان ، كما قال عن بلادهم إنها دار حرب . ويحل قتالهم وقتل أطفالهم ونسائهم لأنهم كانوا يعتقدون أن أطفال مخالفيهم مشركون وأنهم مخلدون فى النار " [1] .

وكان نافع بن الأزرق يؤمن بالاستعراض ويقوم به . والاستعراض أن يعترض الناس بقتلهم ... لم يبالوا من قتلوا [2] ، وكانت امرأة نافع بن الأزرق أكثر منه مغالاة وشدداً حتى أنه إذا أراد أن يتراجع عن أفكاره المتطرفة . وقفت فى وجهه تحثه على التمسك بمذهبه وتؤكد له أنه على صواب بل توصيه بقتل المسلمين وتنكيلهم باعتبارهم من الكفار .

يقول الأصفهانى : " إن نافع بن الأزرق لمّا تفرّقت آراء الخوارج ومذاهبهم فى أصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها لا يعترض الناس وقد كان متشككاً فى ذلك فقالت له امرأته : إن كنت قد كفرت بعد إيمانك وشككت فيه فدع نحلتك ودعوتك وإن كنت قد خرجت من الكفر إلى الإيمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم وأثخن فى النساء والصبيان كما قال نوح لا تذر على

---

[1] – تاريخ الإسلام : الدكتور حسن إبراهيم حسن ، جـ١ ، ص ٢٩٠ ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٤ .

[2] – الأمالى . للقالى : جـ١ / ١١٩ .

الأرض من الكافرين ديّارا ، فقبل قولها واستعرض الناس وبسط سيفه فقتل الرجال والنساء والولدان وجعل يقول : إن هؤلاء إذا كبروا كانوا مثل آبائهم وإذا وطئ بلداً فعل مثل هذا به إلى أن يجيبه أهله جمعا ويدخلوا فى ملته فيرفع السيف ويضع الجباية فيجبى الخراج فعظم أمره واشتدت شوكته وفشا عماله فى السواد فارتاع لذلك أهل البصرة " [1] .

ولم تكتف زوجة نافع بذلك ولكنها بعد قتل نافع لبست زى الرجل وعرضت على قاتله المبارزة حتى تقتله أخذاً بثأر زوجها . يقول الأصفهانى : " وادعى قتل نافع بن الأزرق رجل من باهلة يقال له سلامة وتحدث بعد ذلك قال : كنت لمّا قتلته على برذون ورد فإذا أنا برجل ينادى وأنا واقف فى خمبس بنى تميم فإذا به يعرض علىّ المبارزة فلما خرجت إليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته ونزلت فأخذت رأسه وسلبته فإذا هى امرأته قد رأتنى حين قتلت نافعا فخرجت لتثأر به " [2] .

وهكذا برز دور زوجة نافع بن الأزرق فى مؤازرة زوجها فى الدعوة وتثبيته على المذهب وملازمته فى الحروب ثمّ محاولة الأخذ بثأره .

---

[1] – الأغانى : جـ٦ ، ص ٣ .

[2] – نفسه جـ٦ ، ص ٤ .

أم حكيـــم

ذلك الصوت الفدائى الذى يعبر عن رغبة ملحة فى الموت والاستشهاد فى رضا وطمأنينة واستبشار بنعيم الله ، تتهافت على الموت تعجلا للقاء اليوم الموعود . كانت تحارب مع زوجها قطرى بن الفجاءة . جنباً إلى جنب وهى ترتجز هذا الرجز البالغ العنف والقوة .

أحمل رأســاً قــد ســئمت حَمْلَــه
وقــد مللــتُ دَهْنَــه وغســلهُ
ألا فمتــى يحمــلُ عنــىٌ ثِقْلَــهُ [1]

فأم حكيم كانت تتمنى أن تموت على يدى فتى مــن فتيــان الجــيش الأموى حتى تنال الشهادة وتتعجل لقــاء الله . يقــول عنهــا الأصــفهانى : " حدثت: أن امرأة من الخوارج كانت مع قطرى بن الفجاءة يقال لها أم حكيم وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجهاً وأحسنهم بدينهم تمسكا ... " [2] .

خطبها قبل زواجها من قطرى بن الفجاءة جماعة من أشراف الخوارج فردّتهم وهى تقول :

ألا إنَّ وجهــا حَسَّــنَ الله خَلْقَــهُ
لأجْدَرُ أن يُلْفى به الحســنُ جامعــاً
وأكْرِمُ هذا الجرْمَ عــن أن ينالَــهُ
تَــوَرُّك فحــل هَمُّــهُ أن يجامعــا [3]

---

[1] – شعر الخوارج ، ص ١٢٨ .
[2] – الأغانى ، جـ٦ / ٧ ، دار صعب ، بيروت ، جمهرة رسائل العرب ، جـ٢ / ١٥٧
[3]- شعر الخوارج ، ص ١٢٨ .

فوجه أم حكيم الذى جمّله الله وحَّسنه من تمام حسنه وكماله ألا ينغمس فى ملذات الدنيا ، بل يجب أن يكون له هدف أسمى فى الحيـــاة وأثمـــن مـــن الزواج والجماع . لذلك عندما تزوجت لم تتزوج إلا فارس فرسان الخـــوارج قطَرى بن الفجاءة . حتى يساعدها فى تحقيق هدفها . فالهدف عندهما واحـــد والوسيلة واحدة أليس هو القائل مخاطباً نفسه : [1]

أقولُ لها وقـــد طـــارتْ شـــعاعاً
من الأبطـــال ويحـــك لـــن تراعـــى
فإنـــك لـــو ســـألتِ بقـــاءَ يـــومٍ
على الأجَلِ الذى لـــكِ لـــم تطـــاعى
فصبراً فى مجال المـــوت صـــبراً
فمـــا نيـــلُ الخلـــودِ بمســـتطاعِ
ولا ثـــوبُ البقـــاءِ بثـــوب عِـــزٍّ
فيُطْوَى عن أخـــى الخنـــع اليـــراعِ
سبيلُ المـــوتِ غايـــةُ كـــلِّ حـــىٍّ
فداعيـــه لأهـــل الأرض داعـــى
ومـــن لا يُعْتَـــبطْ يَســـأم ويهـــرمْ
وتُسْـــلِمْهُ المنـــونُ إلـــى انقطـــاعِ
ومـــا للمـــرءِ خيـــرٌ مـــن حيـــاةٍ
إذا مـــا عُـــدَّ مـــن سَـــقَطِ المتـــاعِ

[1] – شعر الخوارج ، ص ١٢٢ .

ويقول أيضاً متفقاً معها فى الغاية :

حتـــى متـــى تخطئنـــى الشـــهادة
والمـــوت فـــى أعناقنـــا قـــلادة
ليس الفـرارُ فـى الـوغى بعـادة
يا رب زدنـى فـى التقـى عبـادة
وفـــى الحيـــاة بعـــدها زهـــاده [1]

رجل كهذا فارس وشاعر وأمير المؤمنين كما أطلق عليه أتباعـه لا ترفضه أم حكيم كما رفضت غيره ولكنها تزوجته وأصـبح مبعـث فخرهـا وأصبحت هى مبعث وجوده وسر تعلقه بالحياة . يقول :

لعمرك إنى فى الحياة لزاهدٌ
وفى العيش ما لم ألق أمَّ حكيم [2]

---

[1] – شعر الخوارج ص ١٢٩ ، ١٣٠ .
[2] – نفسه ، ص ١٢٠ .

عميرة امرأة مجاشع البكرى

كانت ترى رأى زوجها مجاشع بالقعود عن الخوارج ثم أفسدها رجل حتى رأت رأى الخوارج فدعت زوجها إلى ذلك فأبى وأبت إلاّ أن تخرج فخرجت وأقامت فى عسكر الضحاك بن قيس سنين . فكتب إليها زوجها يبثها وجده ويسألها العودة . يقول : [1]

وجداً يصاحبنى لعلّ صبابة
منها تردّ خليلةً لخليلِ
فلئن قتلتِ ليقتلانّ قتيلكم
فتيقنى أنى قتيلُ قتيلِ

ولكن (عميرة) التى وهبت نفسها للمذهب لم يؤثّر فيها كلام زوجها الذى آلمه فراقها ولكنها دلته على عنوانها الذى يوجد بين الأسنة والسيوف إذا أر ـ أن يعود هو إليها . أما حياة الدعة والترف والفراش الناعم فلم تعد تَصلح لها فعليه أن يستبدلها بامرأة غيرها لو أراد ، تقول :

أبلغ مجاشعاً إن رجعت فإننى
بين الأسنةِ والسيوف مقيلى
أرجو السعادة لا أحدث ساعة
نفسى إذا ناجيتها بقفولِ
ووهبت خدرى والفراش لكاعب
فى الحىّ ذات دمالج وحجول

---

[1] – معجم النساء الشاعرات . عبد الأمير مهنا ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، شعر الخوارج ، ص٢٣٦ ، دار الشروق .

من هذه الكاعب ذات الدمالج والحجول ؟ أتكون شابة صغيرة انشـغل بها زوجها مجاشع فاغتاظت عميرة وفضلت الخروج ؟ ! من يدرى ؟.

المهم أن عميرة قد عادت إلى زوجها مـن جديـد وقالـت أبياتهـا المشهورة بعد أن تيقنت من فساد رأى الخوارج . تقول :

تركـــت رمحـــاً لينـــا مســـه
وجئـــت رمحـــاً مسُـــهُ قاتـــل

شـــتان هـــذا بـــدم ســـائل
وذاك منـــــه عســـــلٌ ســـــائلُ

مطعون ذا كـم منـه فـى لـذةٍ
وأمُ مطعـــون بـــذا ثاكـــل

مُـرُوا بنـا نرجـع إلـى ديننـا
فكـــلُ ديـــنٍ غيـــره باطـــل

وَمِلَّـــةُ الضـــحاكِ متروكـــةٌ
لا يجتبيهـــا أحـــدٌ عاقـــل [1]

١- شعر الخوارج ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، دار الشروق .

أم علقمة الخارجية

امرأة خارجية حملت السيف فى وجه المسلمين أو من تـراهم هـى كفاراً. وقبض عليها ، ومَثُلت أمام الحجاج فلم تأبه به ولا بمستشاريه . جـاء عنها فى أعلام النساء : " من ربات الفصاحة والبلاغة والشجاعة وقوة الحجة أتى بها إلى الحجاج بن يوسف فقيل لها : وافقيه فى المذهب فقد يظهر الشرك بالمكر . فقالت : قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين . فقال لها : قـد خبطـت الناس بسيفك ياعدوة الله خبط عشواء . فقالت : لقد خفت الله خوفاً صيَّرك فى عينى أصغر من ذباب وكانت منكسّة . فقال : ارفعى رأسك وانظرى إلـىّ . فقالت : أكره أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه . فقال : يا أهـل الشـام مـا يقولون فى دم هذه ؟ قالوا : حلال . فقالت : لقد كان جلساء أخيـك فرعـون أرحم من جلسائك حيث استشارهم فى أمر موسى فقـالوا : أرجـه وأخـاه . فقتلها " [1] .

امرأة تحمل السيف تقتل وتفتك ، تأبى أن تأخـذ بالتقيّـة – حتـى لا تعرّض نفسها للقتل – تقرع الحجة بحجة أقوى منها . لـم تهتـز أو تخـف والسيف قريب منها . أى نساء هؤلاء ومن الذى أوصلهن إلى هذا الحد مـن التمسك بهذه العقيدة ! أمر يحير ألباب الباحثين .

---

[1] – أعلام النساء : عمر رضا كحالة ، جـ٣ / ٣٢٨ / ٣٢٩ .

جمرة زوجة عِمران بن حِطان

امرأة خارجية تقوم بالدعوة إلى مذهبها واجتذاب أنصار جدد وتثبيت الأقدام فى مجال الكفاح .

فزوجها عمران بن حطان " كان قبل تشريّه مولعاً بالعلم الحديث ، وقد روى عن عائشة وأبى موسى الأشعرى وابن عباس وابن عمر ، وكان حريصاً على تحرىّ الصدق فى رواية الحديث ، لذلك يرجّح أنه رحل إلى الحجاز لأن عائشة لم تفارق هذا البلد إلاّ فى حرب الجمل ، وكذلك ابن عمر الذى قضى حياته معتزلاً فى الحجاز أيضاً " [1] .

فعمران عاش حياته الأولى فقيهاً محدثاً على رأى الجماعة لا يميل إلى أى حزب سياسى .

ثم يحدث التغيير فى حياة عِمران فقد سمع أن جمرة ابنة عمه تعتقد رأى الخوارج وتدعو لمذهبهم فأصر أنه يتزوجها ليردها عن مذهب الشراية فذهبت به إلى رأيهم وأصبح من كبار دعاة المذهب الخارجى . وأصبح مغرماً بجمرة هذه وأصبحت ملهمته فى كثير من أشعاره . يقول مثلاً :

يا جمرُ إنى على ما كان من خلقى
مثن بخلات صدق كلّها فيك
الله يعلم أنى لم أقل كذباً
فيما علمت وإنى لا أزكيك [2]

---

[1] – الخوارج : تاريخهم وأدبهم : على حفّال ، ص ٩٦ ، ٩٧ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .

٢- الأغانى : جـ ١٦ ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

وهكذا نجد امرأة من نساء الخوارج تؤثر فى عقل فقيه كبير كعمران بن حطان وتتسبب فى تغيير خط سير حياته يقول الأصفهانى فى عمران بن حطان : " شاعر فصيح من شعراء الشراة ودعاتهم والمقدَّمين فى مذهبهم وكان من القعدة لأن عمره طال فضعف عن الحرب وحضورها فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه وكان قبل أن يفتن بالشراة مشتهراً بطلب العلم والحديث ، ثم بُلِيَ بذلك المذهب فضلَّ وهلك لعنه الله وقد أدرك صدراً من الصحابة وروى عنهم وروى عنه أصحاب الحديث " [1] .

أرأينا كيف غيرته هذه المرأة هل أثرت فيه بجمالها كما تذهب بعض المصادر ؟ أم ما الذى جعله يقبل هذا المذهب ويصبح مطارداً من قبل الحجاج متنقلاً متخفياً فى أحياء العرب ؟ هل كان نساء الخوارج يستخدمن جمالهم لجذب الأتباع ، وبخاصة من كان لهم ثقل ووزن علمى وسياسى ؟ ألم تفعلها أم حكيم مع قطرى بن الفجاءة من قبل ؟ إنها أسئلة تحتاج إلى إجابات .

المهم أن عمران أصبح مشرداً بين قبائل العرب يقول فى ذلك :

حللنا فى بنى كعب بن عمرو
وفى رعل وعامر عوثبان
وفى جرم وفى عمرو بن مر
وفى زيدٍ وحى بنى الغدان [2]

هذا حال عِمران بن حطان فماذا نقول فيه إلاّ أنه رجل أضلته امرأة .
وهذه جمرة التى أضافت كسبا جديداً لرصيد الخوارج .

---

[1] - الأغانى : جـ١٦ / ١٥٤ .
٢- نفس الصحيفة .

غزالة زوجة شبيب الخارجى

فارسة من فوارس الخوارج ، روّعت هى وزوجها شبيب الحجاج بن يوسف الثقفى فتحصن منها وأغلق عليه قصره عند دخولها الكوفة . تحدّت الحجاج وجنوده رغم كثرتهم ونذرت أن تصلى ركعتين فى مسجد الكوفة تقرأ فيهما البقرة وآل عمران وفعلت ، وصعدت المنبر وخطبت فى أشياعها ثم تولت إمامة الفرقة بعد موت زوجها .

أما شبيب زوجها فهو شبيب بن يزيد الشَيْبانى تحرك مع صالح بن مُسرّح زعيم فرقة الصالحية . إحدى فرق الخوارج فى سنة ٧٦ هـ [١] .

جاء فى أعلام النساء فى أخبار غزالة : " من ربات الفروسية والشجاعة والفصاحة والبلاغة والنسك والزهد ، خرجت مع زوجها شبيب بن يزيد على عبد الملك بن مروان فى إمارة الحجاج بن يوسف بالعراق . فبعث إليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحداً بعد واحدٍ . ثم خرج شبيب من الموصل يريد الكوفة . وخرج الحجاج من البصرة يريد الكوفة أيضاً . وطمع شبيب أن يلقاه قبل أن يصل إلى الكوفة فأقحم الحجاج خيله فدخل قبله فى سنة ٧٧هـ ، وتحصن الحجاج فى قصر الإمارة ودخل إليها شبيب وأمه جهيزة وزوجته غزالة عند الصباح ، وقد كانت غزالة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلى فيه ركعتين تقرأ فيهما سورة البقرة وآل عمران ، فأتوا الجامع سبعين رجلاً فصلّت فيه الغداة وخرجت من نذرها وهى تتمتع بالموضع العظيم من الشجاعة والفروسية . وقال بعضهم :

---

[١] – جمهرة رسائل العرب : أحمد زكى صفوت ، جـ٢ / ١٧٣ .

وفت غزالـــــة نـــــذرها
يا رب لا تغفـــــر لـــــها [1]

ثم قابلت غزالة الحجاج فى حروب عديدة فهرب فى بعضها وتحصن فى البعض الآخر . يقول الأصفهانى : " إن غزالة الحرورية لمّا دخلت علـــى الحجاج هى وشبيب الكوفة تحصن منها وأغلق عليه قصره فكتب إليه عمران بن حطان وكان الحجاج لجَّ فى طلبه قال شامتاً فى الحجاج مسجلاً جبنه أمام غزالة :

أسدٌ عليَّ ، وفى الحروب نعامـــةٌ
ربداء تُجْفَلُ مـــن صـــفير الصـــافرِ
هلا برزت إلى (غزالة) فى الوغى
بل كان قلبك فـــى جنـــاحَىْ طـــائر
صدعت غزالـــةُ قلبـــه بفـــوارس
تركـــت منـــابره كـــأمْسِ الـــدابر
ألقِ السلاح وخذ وشاحَىْ مُعْصِـــرٍ
واعمـــدْ لمنزلـــة الجبـــان الكـــافر [2]

ويقتل شبيبٌ من جيش الحجاج أربعة وعشرين أميـــراً كلهـــم أمـــراء الجيوش [3] وعاث فى الأرض الفساد ، يقول الجاحظ مخبراً عن قـــوة شـــبيب وفروسته : " وأنشد أبو عمرو والشيبانى لرجلٍ من الخوارج يصف صـــيحة

---

[1] - أعلام النساء : جـــ٤ ، ص ٧ ، تاريخ الطبرى : ٧ / ٢٤٤ ، جمهرة رسائل العـــرب جـــ٢ / ٧٨م .

[2] - الأغانى : جـــ ١٦ ، ص ١٥٧ ، شعر الخوارج ، ص ١٦٦ ، ١٦٧.

[3] - الملل والنحل للشهرستانى ، ص ١٢٨ .

شبيب بن يزيد بن نُعيم . قال أبو عبيدة وأبو الحسن : كان شبيب يصيح فـــى جنبات الجيش إذا أتاه ، فلا يلوى أحدٌ على أحدٍ . وقال الشاعر فيه :

إنْ صاح يوماً حسِبت الصخرَ منحدراً
والريحَ عاصفةً والموجَ يلتطـــمُ [1]

ويترك شبيب الكوفة ويعود إليها مرة بعد مرة يروع الآمنين يســلب ويقتل ويسفك يقول البغدادى : " ثم إنّه كبس الكوفة لـــيلاً ومعـــه ألـــف مـــن الخوارج ومعه أمّه جهيزة وامرأته غزالة [2] فى مائتين من نساء الخوارج قـــد اعتقلْنَ الرماح ونَقلدْنَ السيوف ، فلمّا كبس الكوفة ليلاً قصد المسجد الجـــامع وقتل حرّاس المسجد المعتكفين فيه ونَصبَّ امرأته غزالة على المنبـــر حتّـــى خطبت . وقال خُزَيمة بن فاتك الأسدى فى ذلك :

أقامت غَزَالـــةُ سُـــوق الضـــرار
لأهـــل العـــراقين حَـــوْلا قَميطـــا
سَـــمَتْ للعـــراقين فـــى جيشـــها
فلاقـــى العِراقـــانِ منهـــا أطيطـــا [3]

ويذكر عتبان بن وصيلة الشيبانى ما خاض شبيب وغزالة من معارك، وما كان فيها من انتصارات متتابعة على جيش الحجاج ووجه عتبان أبياته إلى عبد الملك قائلاً :

---

[1] – البيان والتبيين للجاحظ ، جـ١ / ١٢٨ ، ١٢٩ .

[2] – الأصل فى نص البغدادى : ومعه أمه غزالة وامرأته جهيـــزة هـــذا بخـــلاف جميـــع المصادر ولهذا قد قمت بإصلاح النص .

[3]– الفرق بين الفرق للبغدادى : ص ١١١ ، ١١٢ ، وقمط الشيء قمطاً ، شـــدّه بربـــاط ، يقال قمط المولود : ضم أعضاءه إلى جسده ، وقمط الأسير : جمع من ثقل الحمـــل ، والأطيط : أطيط البطن : صوت من الجوع ، وأطيط الظهر : صوت من ثقل الحمل ، والإبل : أنّت من تعب .

لعمرى لقد نادى شبيبُ وصحبه
على الباب لو أن الأمير يجيبُ
فأبلغ أمير المؤمنين رسالة
وذو النصح لو تصغى إليه قريب
أتذكر إذ دارت عليك رماحنا
بمَسْكِنَ والكلبيُّ ثم غريب
فلا صُلح ما دامت منابر أرضنا
يقوم عليها من تقيف خطيبُ
فإنك إلاّ تُرْضِ بكر بن وائل
يكن لك يومٌ بالعراق عصيبُ
فلا ضير إن كانت قريشُ عدالنا
يصيبون منا مرةً ونصيبُ
فإن يكُ منهم كان مروانُ وابنه
وعمروُ ومنهم هاشمٌ وحبيب
فمنا سُوَيدٌ والبَطينُ وقعنب
ومنا أمير المؤمنين شبيبُ
غزالة ذات النذرِ منا حميدة
لها فى سهام المسلمين نصيب
ومناً سنانُ الموتِ وابن عُوَيْمرٍ
ومُرَّةُ فانظر أىَّ ذاك تعيبُ

فوارسنا من يلقهم يلقَ حَتفَـــهُ
ومن ينج منهم ينج وهو سليب [1]

فشبيب هو أمير المؤمنين وكل من يقف فى وجه فوارســه الشــجعان يلقى حتفه . وبهذا تصبح غزالة زوج أمير المؤمنين وهى التى وفت بنذرها .

ويهرب أهل الكوفة أمام شبيب وغزالة مرة بعد مرة ويحاول الحجاج استنفارهم عن طريق التهديد والوعيد . يقول فى رسالة بعث بها إليهم : " أما بعدُ ، فقد اعتدْتم عادة الأذلاّء ، ووليتم الــدُّبُرَ يــوم الزحــف ، وذلــك دأبُ الكافرين، وإنى قد صفحت عنكم مرّة بعد مرة ، ومرة بعد مرة ، وإنى أقســم لكم بالله قسماً صادقاً : لئن عُدتم لذلك لأوقعنَّ بكم إيقاعاً يكون أشدَّ عليكم من هذا العدو الذى تهربون منه فى بطون الأودية والشعاب ، وتستترون منه بأثناء الأنهار وألواذ الجبال فخاف من له معقول على نفسه ولم يجعل عليها سبيلا ، وقد أعذر من أنذر .

وقد أسمعت لو ناديت حيّـــا
ولكن لا حياة لمن تنـــــادى
والسلام عليكم [2]

ويتجه شبيب وغزالة إلى المدائن وأراد أن يعود إلــى الكوفــة مــرة أخرى . فيرسل الحجاج رسالة إلى عبد الملك بن مروان مستنجداً يطلب المدد

---

[1] – شعر الخوارج ، ص ٢٠٠ ، دار الشروق ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م ، والبيان والتبيين ، جـ ٣ / ٢٦٦ .
[2] – جمهرة رسائل العرب : أحمد زكى صفوت : جـ٢ / ١٧٤ .

يقول فيها : " أما بعد فإنى أخبر أمير المؤمنين – أكرمه الله – أن شـبيباً قـد شارف المدائن ، وإنما يريد الكوفة ، وقد عجز أهل الكوفة عـن قتالـه فـى مواطن كثيرة فى كلِّها يقتلُ أمراءهم ويَفْلُ جنودهم فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلىَّ أهل الشام ، فيقاتلوا عدوّهم ، ويأكلوا بلادهم فليفعل والسلام " .

فبعث إليه عبد الملك سفيان بن الأبرد الكلبى فى أربعة آلاف ، وحبيب ابن عبد الرحمن الحكمى فى ألفين " [1] .

وظل شبيب يقاتلهم إلى أن زل حافر فرسه عن حرف السفينة فى نهر دُجَيل [2] ، فسقط فى الماء وكان هلاكه سنة ٧٧هـ [3] وهو يقول : " ذلك تقدير العزيز العليم " [4] .

وبايع الشبيبية [5] غزالة على أن تتولى قيادتهم بعد موت شبيب ولكن القدر لم يمهلها . يقول البغدادى : " وبايع أصحاب شبيب فى الجانب الآخـر من الدُجَيل غزالة ، وعقد سفيان بن الأبرد – قائد جيش الأمويين – وعبر مع جنده إلى أولئك الخوارج وقتل أكثرهم وقتل غزالة امرأة شبيب وأمه جهيزة ، وأسر الباقين من أتباع شبيب ، وأمر الغوّاصين بإخراج شبيب من الماء وأخذ رأسه ، وأنفذه مع الأسرى إلى الحجاج ... " [6] .

---

[1] – جمهرة رسائل العرب ، جـ٢ / ١٧٧ .
[2] – نهر بالأهواز .
[3] جمهرة رسائل العرب ، جـ٢ / ١٧٨ .
[4] – الملل والنحل ، ص ١٢٨ .
[5] – لانتسابهم إلى شبيب بن يزيد .
[6] – الفرق بين الفرق ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

ومن هنا نلاحظ ان الخوارج أجازوا إمامة المرأة يقول البغدادى : "إن شبيب وأتباعه أجازوا إمامة المرأة منهم إذا قامت بأمورهم وخرجت على مخالفيهم ، وزعموا أن غزالة امرأة شبيب كانت الإمام بعد قتل شبيب إلى أن قتلت ، واستدلوا على ذلك بأن شبيبا لمّا دخل الكوفة أقام غزالة على منبر الكوفة حتى خطبت " [1] .

ويعلق عبد القاهر البغدادى على إجازة خروج النساء معهم . ورميهم أم المؤمنين عائشة بالكفر لأنها خرجت إلى البصرة فى موقعة الجمل يقول : " يقال للشبيبية من الخوارج : أنكرتم على أم المؤمنين عائشة خروجها إلى البصرة مع جندها الذى كلُّ واحد منهم مَحْرم لها لأنها أمُّ جميع المؤمنين فى القرآن ، وزعمتم أنها كفرت بذلك وتلوتم عليها قول الله تعالى : " وقرْن فى بُيُوتكن " فهلا تلوتم هذه الآية على غزالة وهلا قلتم بكفرها وكفر من خرجن معها من نساء الخوارج إلى قتال جيوش الحجاج ، فإن أجزتم لهنَّ ذلك لأنه كان معهن أزواجُهُنَّ أو بنُوهُنَّ أو إخوانهن فقد كان مع عائشة أخوها عبد الرحمن، وابن أختها عبد الله بن الزبير ، وكل واحد منهما محرم لها ، وجميع المسلمين بنوها وكل واحدٍ محرم لها ، فهلا أجزتم لها ذلك ، على أن من أجاز منكم إمامة غزالة فإمامتها لائقة به وبدينه " [2] .

وهكذا تنتهى أسطورة غزالة المرأة التى دوخت الحجاج . فارسة ، خطيبة ، حافظة للقرآن ، ولكنها فى النهاية وجهت كل قوتها هى وزوجها ضد المسلمين فأوهنت عضد الدولة فليتها ما كانت .

---

[1] – الفرق بين الفرق ، ص ١١٠ ، ١١١ .

[2] – نفسه ، ص ١١٣ .

مريم الجعيداء زوجة أبى حمزة الشارى

امرأة فارسة مقاتلة شاركت مع زوجها فى مجزرة قديد سنة ١٣٠هـ، التى قتل فيها من أهل المدينة النفر الكثير . وكانت الجعيداء ترتجز فى المعركة بقولها :

أنا الجعيداء وبنت الأعلم
من سأل عن اسمى فاسمى مريم
بعت سوارى بسيف مخدم [١]

وإلى أبى حمزة الشارى زوج الجعيداء يرجع الفضل فى علو شأن الإباضية . فقد سار على رأس جيش إلى مكة فى موسم الحج سنة ١٢٩هـ ، " فبينما الناس بعرفة ما شعروا إلاّ وقد طلعت عليهم أعلام وعمائم سود على رءوس الرماح وهم سبعمائة ففزع الناس حين رأوهم وسألوهم عن حالهم فأبروهم بخلافهم مع مروان وآل مروان ، فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك – وهو يومئذ على مكة والمدينة – وطلب منهم الهدنة فقالوا : نحن بحجنا أضن وعليه أشح ، فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر الناس النفر الأخير " [٢] ، فوقفوا على حدة بين الناس بعرفات ثم تحيزوا عنهم ، فلما كان يوم النفر الأول تعجل عبد الواحد وترك مكة

---

[١] – شعر الخوارج ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، الأغانى : ٢٠ / ١١٠ ، والمخدم القاطع .

[٢] – الكامل فى التاريخ لابن الأثير : جـ٤ / ٣٠٧ ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

فدخلها الخارجي بغير قتال ، ثم هرب عبد الواحد بعد ذلك إلى المدينة . وفى ذلك يقول بعض الشعراء :

زار الحجيج عصابة قد خالفوا
دين الإله ففرَّ عبدُ الواحد
ترك الحلائل والإمارة هارباً
ومضى يخبطُ كالبعير الشارد
لو كان والده تنصَّل عرقه
لصفت مواردُه بعرق الوارد " [1]

وفى عام ١٣٠هـ يدخل أبو حمزة الخارجي المدينة ويهرب نائبها عبد الواحد بن سليمان ، فيهرب أهل المدينة إلى قديد فينقض حمزة الشارى عليهم ويقتل منهم الكثير "وقدم المنهزمون المدينة فكانت المرأة تقيم النوائح على حميمها ومعها النساء فما تبرح النساء حتى تأتيهن الأخبار عن رجالهن فيخرجن امرأة امرأة كل واحدة منهن تذهب لقتل رجلها فلا تبقى عندها امرأة لكثرة من قتل ، وقيل : كان عدة القتلى سبعمائة " [2] .

وهكذا امتلأت ساحة قديد بجثث القتلى من أنصار الحكومة ومن الخوارج أيضاً ، وتركت آثاراً حزينة فى الشعر فكانت النائحات ينحن بقولهن:

---

[1] – البداية والنهاية لابن كثير ، جـ٥ / ٥٠٨ ، دار الغد ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١م .

[2] – الكامل لابن الأثير ، جـ٤ / ٣١٤ .

مـــــا للزمـــــان ومالـيـــــه
أفنـــــت قديـــــدّ حاليـــــة
فلأبكـــــــين ســـــــريرةً
ولأبكـــــــين علانيـــــــة
ولأبكـــــــين إذا خلـــــــوت
مـــــع الكـــــلاب العاويـــــة
ولأثنـــــينَّ علـــــى قديـــــد
بســـــــوء ما أبلانيـــــــه [1]

ورثى الخوارج أيضاً قتلاهم وبكوهم بكاءً حاراً كقـول أبـى حمـزة الشارى بعد المعركة :

يا لهف نفسى ولهف غير نافعـة
علـــى فـــوارس بالبطحـــاء أنجـــاد
عمرو وعمرو وعبـد الله بينهمـا
وابناهما حامس والحارث الســـــاد [2]

وتطل بوادر الجيش الأموى بقيادة عبد الملك بن محمـد بـن عطيـة ويهرب أبو حمزة مع ثلاثين رجلاً إلى المدينة ، ومنها إلى مكة ، وفى مكـة يقتل أبو حمزة على يد رجال ابن عطية وتقتل معه زوجته مريم الجعيداء [3] .

وهكذا نجد الجعيداء الخارجية تحمل السيف تاركة ما يتمتع به النساء فى الدنيا وتقف إلى جانب زوجها تحارب معه وتُقتل معه .

---

[1] – الأغانى : ٢٠ / ١٠٢ .

[2] – الأغانى : ٢٠ / ١٠٠ .

[3] – انظر : الكامل فى التاريخ ، جـ٤ ، ٣١٥ ، البداية والنهاية ، جـ٥ / ٣٠٩ ، ومـا بعدها ، السياسة والأدب الأموى ، ص ١١٥ وما بعدها .

ليلى بنت طريف التغلبيّة

ذكرت باسم ليلى بنت طريف والفارعة بنت طريف . جاء عنها فـــى أعلام النساء : " شاعرة من شواعر العرب فى الدولة العباسية كـــان أخوهـــا الوليد بن طريف الشيبانى رأس الخوارج وأشدهم بأســـاً وصـــولة وأشـــجعهم فاشتدت شوكته وطالت أيامه فوجه إليه هارون الرشيد يزيد بن مزيد الشيبانى فجعل يخاتله ويماكره ولحق بالوليد . فخرج الوليد إليه وهو يقول :

أنا الوليد بن طريف الشارى

قسورةَ لا يصطلى بنارى

جوركمو أخرجنى من دارى

فأوقع يزيد السيف فى أصحاب الوليد وأخذ رأسه [1] .

وهنا يبرز دور ليلى بنت طريف حيث " صبحتهم مستعدة عليها الدرع فجعلت تحمل على الناس فعرفت . فقال يزيد : دعوها ، ثم خرج إليها فضرب بالرمح قطاة فرسها ثم قال : اعزبى عزب الله عليك فقد فضـــحت العشـــيرة فاستحيت وانصرفت وهى تقول ترثى الوليد :

بِتَلٍّ تَبَاثَا رسْـم قبرٍ كأنـــــه

على علم فوق الجبال منيف [2]

ثم تسلك ليلى فى رثائها لأخيها الوليد مسلك الخنساء من أخويها فترثيه بجملة قصائد منها :

---

[1] – أعلام النساء : جـــ٥ / ٣١٨ وما بعدها .

[2] – الكامل لابن الأثير : جـــ٥ / ٩٧ ، ٩٨ .

ذكـــــرت الوليـــــد وأيامـــــه
إذ الأرض مـــن شخصـــه بلْقـــع
فأقبلـــت أطلبـــه فـــى الســـماء
كمـــا يبتغـــى أنفُـــهُ الأجـــدع [1]

وهكذا وجدنا ليلى بنت طريف تحمل عدة الحرب وتركب الفرس لتثأر لقتل أخيها الوليد بن طريف الشارى .

وهكذا برز دور المرأة الخارجية فى حروب الخـوارج فـى أجلـى صوره ، حيث ظهرت كمقاتلة عنيدة أو محفزة على القتال ودافعة إليـه ، أو مدفوعة للثأر من قتلة موتاها .

[1] - ضحى الإسلام : أحمد أمين ، جـ٣ / ٣٤٧ .

الفصل الثانى

المــرأة إنســانة

لم يكن أنموذج المرأة المقاتلة المجاهدة هو النموذج الوحيد لنساء الخوارج . فإن ذكر التاريخ أم حكيم الفارسة الجميلة زوجة قطرى بن الفجاءة التى كانت تحارب مع زوجها جنبا إلى جنب ، أو غزالة زوجة شبيب الخارجى التى روّعت الحجاج عند دخولها هى وزوجها الكوفة فتحصن منها وأغلق عليه قصره [1] . أو الدلجاء التى قتلت وصلبت وتقطعت أعضاؤها مما مرّ ذكره فى الفصل السابق . فقد ذكر التاريخ أسماءً أخرى من نساء الخوارج لا علاقة لهن بالحرب والجهاد على الإطلاق . بل عشن كأى امرأة تتدلل على زوجها وتطلب منه الهدايا أو ترفض الرجل عندما يتقدم لخطبتها أو تشارك زوجها أحزانه وأفراحه . المهم أنها تتصرف كإنسانة يغلب عليها العديد من النوازع البشرية الإيجابية والسلبية .

ومن هنا وجدنا نساءً ارتبطن برجال من الخوارج ورد ذكرهن فى مجال التعلق بالدنيا ومتاعها أمثال : هند وأم الغمر ، وأم عاصم وسليمى وغيرهن . حتى جمرة الخارجية الأصيلة والتى شجعت زوجها عمران بن حطان على الخروج سرعان ما تحولت إلى امرأة تبحث عن الأمان والاستقرار فنراها تحاول أن تثنى زوجها عن الخروج فى أكثر من موقع . متعلقة بأهداب الحياة بعد أن ملّت التنقل والترحال بين رجال لا تعرف منهم إلاّ الموت المخيّم على أجوائهم ، والبكاء الحار على قتلاهم فأرادت أن تنعم بالحياة فيما تبقى لهما من عمر .

المهم أن حياة نساء الخوارج لم تكن على وتيرة واحدة ، هى المرأة المقاتلة . بل كثيرا ما تظهر المرأة الخارجية نوازع إنسانية كثيرة مما يجعلنا

---

[1] – فى الشعر الإسلامى والأموى : د. عبد القادر القط ، ص ٣٧٩ .

نتعجب أن تكون هذه المرأة لها علاقة بالخوارج . فكما يقول الدكتور عبد القادر القط " على أن للمرأة صورة أخرى فى شعر الخوارج تشبه صورتها عند بعض سابقيهم من الشعراء حين كانت تلوم الزوجة زوجها لكرمه وإتلافه، كالذى نراه كثيراً فى شعر حاتم الطائى مخاطبا زوجته ماوية ، أو حين كانت الابنة تلوم أباها لرحيله الطويل الذى تخشى أن يتركها بلا أب ولا عائل ، فشعراء الخوارج كثيراً ما يشيرون إلى محاولة نسائهم أن يثنين عزمهم على الحرب ، ويردون عليهم بالحديث عن التفانى فى سبيل الإيمان والشهادة والتهوين من أمر الدنيا ما دام مآل الإنسان فيها إلى الموت " [1] .

هذه النزعات الإنسانية عند نساء الخوارج هى ما سنحاول أن نوضحه فى هذا الفصل ، الذى يتعلق بالجوانب الإنسانية فى حياة المرأة والتى تدور فى إطار علاقتها بالرجل الخارجى .

فإذا ما نظرنا إلى صورة المرأة فى شعر الخوارج وجدناها تخرج عن إ ر صورتها التقليدية فى الشعر العربى فلم تكن من نساء امرئ القيس اللائى يفتتح بهن قصائده ، ولم تكن من نساء عمر بن أبى ربيعة الشاعر اللاهى الذى يبحث عن مغامرات غرامية معها ، ولم تكن ليلى ولبنى وبثينه وفوز عند العذريين المتيمين ولم تكن من نساء بشار بن برد اللائى يصفهن وصفاً ماديا على الأغلب ولم تكن من غلاميات أبى نواس . ولكن المرأة فى شعر الخوارج امرأة واقعية لا تخرج عن كونها زوجة أو ابنة علاقتها بالرجل محكومة بالقيود الدينية التى هى الأساس الأول فى حياة الخوارج . فالمرأة فى شعر الخوارج لم تكن مجالاً للنسيب والغزل على الإطلاق . فالشاعر

---

[1] – فى الشعر الإسلامى والأموى ، ص ٣٨٠ .

الخارجى لم يكن شاعراً محترفاً أو متفرغاً لقول الشعر . بل هو يجرى من مكان لآخر حسب مسرح الأحداث ويجرى معه الشعر على لسانه . حتى لو تفرغ لحظة لقول الشعر ما كان ليشغل نفسه بالحديث عن محاسن المرأة ومفاتنها مما قد يعد فى عرفه من المحرمات . أما الزوجة أو الابنة فهما جزء من كيان الرجل ووجوده شاعراً كان أو غير شاعر ولهذا وجدنا لمحات كثيرة تصور فى شعر الخوارج يصور المرأة الزوجة وتصور المرأة الابنة ، وما يدور حولهن من نوازع إنسانية سنحاول أن نجليها بادئين بالمرأة الزوجة .

فنلاحظ أن المرأة فى البداية كانت تمثل حلماً وأملاً بالنسبة للرجل فنجد قطرى بن الفجاءة هذا الفارس المغوار والقائد الخارجى المحنك ، شاعر الخوارج وخطيبهم وأميرهم . لم تمنعه إمارته للخوارج ولا هيبته بين رجاله أن يخفق قلبه لحب أم حكيم ، فهو كأى إنسان لم يستطع أن يتحكم فى مشاعره، بل لا ينكر أنه حاول أن يسلوها وأن ينهى أمنياته فيها ولكنه لم يستطع ؛ فالقلب أبى إلا حبها ، حتى أنها سيطرت على عقله وفكره ، فإذا ما اختلى بنفسه هام بها حتى صارت حلما له يتمنى تحقيقه .

ثم يعلل أسباب تعلقه بها كعادة الشعراء الغزّالين فيشير إلى أنها منعمة أى يظهر عليها أثر النعمة ، حلوة الدلال ، معتدلة القوام ممتلئة كهريرة الأعشى ، يضاف إلى هذا الجمال الشامل حسن أخلاق . ومن هنا وجدنا المرأة الخارجية أصبحت حلماً حتى عند قادة الخوارج . يقول قطرى بن الفجاءة مصوراً هذا الحلم : [1]

---

[1] – شعر الخوارج ، ص ١٠٨ .

إذا قُلْتُ تسلو النفسُ أو تنتهى المنـــى
أبـــى القلـــبُ إلاّ حـــبَّ أم حكـــيم
منعمـــةٌ صـــفراءُ حلـــو دلالهـــا
أبيـــتُ بهـــا بعـــد الهـــدوّ أهـــيمُ
قَطوفُ الخطى محطوطةُ المتن زانها
مع الحسن خَلقٌ فى الجمـــال عمـــيم

ونجد قطرى بن الفجاء . يكرث هذا الحلم فى مقدمة قصيدة أخـــرى . موضحا أنه إذا لم يلق أم حيكم سيزهد فى العيش والحياة ، فأم حكيم لم تكـــن امرأة عادية ككل النساء بل هى مصدر قوته التى منها تســـتمد ولهـــذا نجـــده يضعها فى ذاكرته على الدوام حتى وهو فى أحلك المعارك . يقول : [1]

لعَمرُك إنـــى فـــى الحيـــاة لزاهـــدٌ
وفى العيش ما لـــم ألـــقَ أمّ حكـــيم
من الخفرات البيض لم تـــر مثلهـــا
شـــفاءٌ لـــذى بـــثٌ ولا لســـقيم
لعمرك إنـــى يـــوم ألطـــم وجههـــا
علـــى نائبـــات الـــدّهر جَـــدُّ لئِـــيمِ
ولو شهدتنى يـــومَ دولاب أبصـــرت
طعانَ فتىً فى الحرب غيـــرَ ذمـــيم

[1] – شعر الخوارج ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

فلـــو شـــهدتنا يـــوم ذاك وخيلنا
تبيح من الكفـارِ كـلَّ حـريم [1]
رأت فتيـــةً بـــاعوا الإلـــه نفوسَهم
بجنات عَـــدْنٍ عنـــده ونعـــيم

يعلق الدكتور القط على هذه الأبيات يقول : " لذلك يأخذ الحب صورة مختلفة فى شعر هؤلاء الشعراء ، فحين يشير الشاعر إلى المرأة فـى مطلـع إحدى مقطوعاته ، لا يلبث أن يقرن بين حبه إياها وحبه للشهادة فـى سـبيل الإيمان والمبدأ إلا إدلالاً لفروسيته المفردة على طريقة الشعراء الجاهلين فـى هذا المقام ولكن تصويراً لوجه آخر من الحب ينصرف فيه الخارجى ورفاقـه عن أهواء الدنيا ومتع النفس وإن كانت جميلةً محببةً " [2] .

وكأن الشاعر هنا قد جسّد هذه المرأة فى ذاكرته أثناء المعركة حتـى إذا ما استشهد استشهد معه أيضاً حلمه الجميل .

والمرأة الخارجية ليست كأى إمرأة عادية بل لابـد أن تتـوافر فيهـا سمات ومحاسن تشد إليها الرجل ، فأم حكيم التى أسرت لب قطرى بن الفجاءة كانت فارسة تجمع إلى جمال خَلْقها حسن خُلُقها كمـا ذكـر قطـرى آنفـاً . فالأخلاق الحميدة كثيراً ما كانت تجذب الرجل إلى المرأة مثلما وضـح لنـا عمران بن حطان وهو يخاطب جمرة ابنة عمه والتى تزوجها . يقول : [3]

---

[1] – يقصد بالكفار هنا : المسلمين الذين يحاربهم ممن ليسوا على مذهبه .
[2] – فى الشعر الإسلامى والأموى ، ص ٣٧٩ .
[3] – شعر الخوارج ، ص ١٥٠ .

يا جمرَ إنى على ما كان من خُلُقــى
مثن بخــلاتِ صــدقٍ كلهــا فِيــكِ
الله يعلــم أنــى لــم أقــل كــذبا
فيمــا علمــتُ وأنــى لا أزكيــكِ

فعمران بن حطان المعروف بعبادته ونسكه يشهد لجمرة أنهــا تتســم بخلال لا تقل عن أخلاقه وصفاته .

والمرأة الخارجية لم تكن امرأة مغلوبة على أمرها بل كانــت تتمتــع بقدر كبير من الحرية . لدرجة أنها كانت تدقق فيمن ستتزوجه وتضع الشروط التى تراها . بل وأكثر من ذلك كانت تطلب أن تكون عصمتها فى يــدها ولا ترضخ فى ذلك لرأى الغير حتى ولو كان أباها . يحكى لنا عمر كحالة فيمــا نقله عن الأغانى قصة عائشة بنت يحيى بن يعمر الخارجية [1] والذى تتضــح فيها حرية المرأة الخارجية فى اختيار زوجها يقول عنها : " من ربات الرأى وا قل خطبها محمد بن بشير لمّا قدم البصرة وأبت أن تتزوجه إلاّ بعد أن يقيم معها بالبصرة ويترك الحجاز ويكون أمرها فى الفرقة إليها فأبى أن يفعل ذلك وقال :

أرق الحــــزين وعــــاده ســــهره
لطــــوارق الهــــمّ الــــذى يــــرده
وذكــرت مــن لانــت لــه كبــدى
فــأبى فلــيس تلــين لــى كبــده

[1] أعلام النساء ، جـ٣ ، ص ١٩٥ وما بعدها .

وأبـــى فلـــيس بنـــازل بلـــدى
أبـــدا ولـــيس بمصـــلحى بلـــده
فصـــدعت حـــين أبـــى مودتـــه
صـــدع الزجاجـــة دائـــم أبـــده
وعرفـــت أن الطيـــر قـــد صـــدقت
يـــوم الكدانـــة شـــرٌ مـــا تعـــده
فاصـــبر فـــإن لكـــل ذى أجـــلٍ
يومـــا يجـــىء فينقضـــى عـــدده
مـــاذا تعاتـــب مـــن زمانـــك إن
ظعن الحبيـــب وحـــلَّ بـــى كمـــده

وخاطب أباها يحيى بن يعمر فقال : " إنها امرأة برزة عاقلة ولا يفتات على مثلها بأمرها وما عنك من رغبة ، ولكنها امرأة فى خلقها شدّة ولها غيرة وقد بلغنى أن لك زوجتين وما أراها تصبر على أن تكون ثالثة لهما فانظر فى أمرك وشاور فيه ، فأما إن أقمت بالبصرة معها فعفت لك عن صاحبتيك إذ لا مجاورة بينهما وبينها ولا عشرةٍ ، وإن شئت مفارقتهما وإخراجهـــا معـــك ، فصار إلى رحله مغموماً .

وشاور ابن عم له يقال له وارد بن عمر فى ذلك فقال لـــه : إن فـــى يحيى بن يعمر الرغبة لثروته وكثرة ماله ، وما ذكر من جمال ابنته وما تحب أن تفارق زوجتيك – وكانت إحداهما ابنة عمه والأخرى من أشجع – فتقـــيم معها السنة بالبصرة وتمضى بخير فإن رغبت فيها تمسكت بها وأقمت بمكانك

وإن رغبت فى العود إلى بلدك كتبت إلينا فجئناك حتى تنصرف معنا ، ففكر ليلته وأجمع حتى غدا عازماً على الرجوع إلى الحجاز " .

فمن هنا نلاحظ أن عائشة بنت يحيى الخارجية طلبت ممن يريد خطبتها والتزوج بها أن يطلّق امرأتيه أولاً ، ويقيم معها بالبصرة وتكون العصمة بيدها .

ولم يتوقف الأمر عند وضع الشروط ، بل يتعداها إلى رفض الزواج من رجل معين . يقول الأعرج المعنى – الشاعر الخارجى – فى امرأة رفضت الزواج منه [1] :

تشكىّ إلى جاراتها وتعيبنى
فقالت معاذ الله أنكح ذا الرجلِ
فكم من صحيح لو يوازن بيننا
لكنّا سواءٌ أو لمال به حملى

فالأعرج يشير إلى أن هذه المرأة رفضته مع أنه يكافئها أو يرجحها .

وقد تتعدى المرأة وضع الشروط والرفض أمام الرجل إلى الاستهزاء به . فيزيد بن حبناء يبين لنا كيف أنه هزأ من أم الغمر لأنها هزئت ببياض شعره وشيبه فأخذ يوضح لها هازئاً أن الشيب مما لا يشين المرء ولكن ما يشيبه أن يقترف ما يبعده عن الجنة ويدخله النار أو ما يجعله يقع تحت لوم العشيرة . يقول [2] :

---

[1] – شعر الخوارج ، ص ٢٧٥ ، طبعة دار الشروق .

[2] – شعر الخوارج ، ص ٨٦ ، ٨٧ ، الكامل للمبرد : ١ / ١٣٨ .

إنىّ هزئت من أم الغمر إذ هَزِئتْ
بشيب رأسى وما بالشيب من عار
ما شقوةُ المـــرء بالإقتـــار يُقْتَـــرُهُ
ولا ســـــعادته يومـــــاً بإكثـــــارِ
إن الشقىَّ الذى فى النـــار منزلـــهُ
والفوز فوزُ الذى ينجو من النـــارِ
أعوذ بالله من أمـــر يـــزيِّنُ لـــى
لومَ العشيرةِ أو يُدْنى مـــن العـــار
وخير دنيـــا ينسَّـــى شـــرَّ آخـــره
وسوف ينبـــئ الجبـــارُ أخبـــارى
لا أقرب البيتَ أحبو من مُـــؤخره
ولا أكسِّر فى ابن العـــمِّ أظفـــارى
إن يحجب الله أبصـــاراً أراقبهـــا
فقد يرى اللهُ حال المدلج السّـــارى

بل قد يصل الأمر إلى أن تسعى المرأة إلى تطليق نفسها حتى تتزوج بمن تحبه كما فعلت جمرة حيث " كانت جمرة زوجاً لسويد بـــن منجـــوف ، فسمعت بعمران بن حطان وعبادته ونسكه فطلبت إليه أن يخلصها من زوجها، وقالت : قد أحببت أن أكون لك ، فإن رأيى رأيك ودينى دينك ، فأقبل عمران ومعه نفر من الخوارج على سويد وكلموه فى أمرهـــا ، فطلقهـــا وتزوجهـــا

عمران ؛ وقيل لسويد : أطلقت جمرة خوفاً من الخوارج ؟ فقال : لا ولكنـــى لا أحب أن يكون عندى من يكرهنى .

ويحكى لنا عمران هذه القصة مادحا سويداً بعد أن نزل على رغبـــة جمرة فطلقها وتزوجها عمران بقول : [1]

سُوَيْدُ بن منجوف كريمُ نمت بـــه
جـــدودٌ وآبـــاءٌ عظـــامُ الدَّســـائع
دعتنـــى إليـــه حاجـــةٌ فوجدتـــه
لعمر أبيك الخيرَ ســـهلَ التســـارع
دعا حُرَّةً لم يقبـــل الكفـــر قلبُهـــا
فلم ترد أى الفاضح الـــدين نـــافع
فقال لها يـــا جمـــرَ ردّى جوابَـــهُ
بحقٍّ ، وكفىَ عن جواب المخـــادع
فقالـــت مقـــالَ المســـتزيد لنفســـه
خلاصاً وكانـــت فـــوزةً للمقـــارع
فلـــم أر مطلوبـــاً إليـــه حليلـــةً
أردَّ بمحمود مـــن القـــول جـــامع
علـــى مثلنـــا منـــه ، فللـــه دَرُّه
وإن كان شيخاً للهدى غيـــرَ تـــابع

[1] – شعر الخوارج ، ص ١٦٠ ، ١٦١ .

فعمران بن حطان صنع ما يصنعه جماعات التطرف فى عصـــرنا حيث يطلّقون المرأة الخارجة من زوجها بحجة أنه كافر لا يتّبع ملتهم وهذا ما أشار إليه عمران فبعد أن أثنى على سويد أشار إلى أنه لم يتبع ديـــن الهـــدى والذى يقصد به دين الخوارج .

والمرأة عندما ترتبط بالرجل فذلك لأن المرأة فى حاجة إلى الرجـــل على الدوام أياً كان موقعها منه ابناً أو زوجاً أو أباً لأن الرجل فـــى الأغلـــب يقوّى ضعف المرأة : وتوضح هذه الحاجة امرأة من الخـــوارج عنـــدما قـــدّم الحجاج خارجياً ليقتله ، فدخل عليه نسوة ، أقارب ذلك الرجل ، فقالت : [1]

أحجاج لـــو تشـــهد مقـــامَ بناتـــه
وعماتـــه ينـــدبن بالليـــل أجمعـــا
أحجَـــاجُ إمـــا أن تمـــنَّ بتركـــه
علينـــا وإمـــا أن تُقَتِّلنـــا معـــا
أحجـــاجُ لا تفجـــع بـــه ونســـائه
ثمانـــا وتســـعاً واثنتـــين وأربعـــا
فمـــن رجـــلٍ دانٍ يقـــوم مقامـــه
علينا ، فمهلا لا تزدنا تضعضـــعا

ولم تقتصر حاجة المرأة للرجل على أن يقوم على شئونها فقط بل قد تصل الحاجة إلى أن يعفها ويقضى وطره منها .

[1] – شعر الخوارج ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

فهذه امرأة خارجية تركت زوجها والتحقت بمعسكر الضحاك وأقامت فيه سنين . ولكنها تشتاق إلى زوجها فتترك ملة الضحاك وتذهب إلى زوجها يعفها وتتمتع بالحياة معه تقول : [1]

تركـــت رمحـــاً لينـــا مسُّـــهُ
وجئـــت رمحـــاً مَسُّـــه قاتـــلُ

شـــتان هـــذا بـــدمٍ ســـائل
وذاك منـــه عَسَـــلٌ ســـائلُ

مطعون ذا كـم منـه فـى لـذةٍ
وأمُّ مطعـــونٍ بـــذا ثاكـــلُ

مـرّوا بنـا نرجـعُ إلـى ديننـا
فكـــلُّ ديـــن غيـــره باطـــلُ

وَملَّـــةُ الضـــحاك متروكـــة
لا يجتنبهـــا أحـــدٌ عاقـــلُ

وفى هذه الأبيات ما يبين فساد عقيدة الخوارج بشهادة امرأة عاشرتهم ثم فرّت منهم .

ولأن المرأة فى حاجة دائماً إلى الرجل فكثيراً ما كانت تبحث معه عن الأمن والاستقرار . وكثيراً ما تملُّ أجواء القتل والموت والدمار . إنها تريد أن تأنس بزوجها فى حياة هادئة مستقرة . حتى جمرة زوجة عمران بن حطـان التى شجعته على الخروج ودفعته إليه ، ملت الموت وأرادت أن تبحـث لهـا وزوجها عن مكان آمن ، ولهذا نجد عمران يحاول أن يقنعها بالبقـاء بـين

---

[1] – شعر الخوارج ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، طبعة دار الشروق .

الخوارج لأن الموت مكتوب على كل إنسان فى زمان ومكان محددين ، ولا يستطيع الإنسان أن يهرب منه ، ولا يوجد إنسان مخلد على الإطـــلاق حتـــى الأنبياء ماتوا جميعاً وغيرهم من كبار الخوارج . يقول عمران مخاطبا جمرة التى تحاول أن تثنيه عن الخروج : [1]

إن كنت كارهة للموت فـــارتحلى
ثم اطلبى أهـــلَ أرض لا يموتونـــا
فلستِ واجدةً أرضـــا بهـــا بشـــرٌ
إلاّ يروحـــون أفواجـــاً ويغـــدونا
إلى القبور ، فمـــا تنفـــكّ أربعـــةٌ
تدنى سريراً إلـــى لحـــدٍ يمشّـــونا
يا جمرَ قد مات مرداسٌ وإخوتـــه
وقبـــل مـــوتهم مـــاتَ النبيوُنـــا
يا جمرَ لو سلمت نفـــسٌ مطهـــرة
من حادث لم يزل يا جمرَ يعيينـــا
إذن لـــدامت لمـــرداسٍ ســـلامتهُ
ومانعاه بـــذات الغصـــن ناعونـــا
نفسى فداؤك من ملقـــىً بمهملـــةٍ
لم يصبحِ اليومَ فى الأحداث مدفونا
تركتنـــا كيتـــامى بـــاد والـــدهم
فلم يروا بعـــده خفضـــا ولا لينـــا
فالله يجزيك يا مرداس جنته
عنا كما كنت فى الإرشاد تولينـــا

[1] – شعر الخوارج ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

فعمران فى هذه الأبيات يحاول أن يعيد جمرة إلى أجواء الخـوارج ، إلى عقيدة راسخة اعتنقوها ويجب أن يتمسكوا بها يحاول أن يذكّرها بالمثـل الأعلى للخوارج أبى بلال مرداس بن أديّة ، وأتخيل أن جمرة لم تـنس هـذه الأهواء ولكن النوازع الإنسانية تتجاذبها فهى كأى امرأة تبحث عـن الأمـن والاستقرار. ولهذا نجدها فى بعض الأحيان تمد فى آمالها الدنيوية ويحـاول عمران أن يعيد إليها توازنها الخارجى . إن جمرة هنا قد تمثل نفس عمـران ذاته الباحثة عن الأمان بعد أن أصبح مطارداً من عديد من الولاة . نفسه هذه ربما هى التى شجعته على القعود . فجمرة ربما تكون الضمير الحى لعمران . يعيش معه فى صراع ، ولكنه فى النهاية لا يريد أن يتراجع لأنه لم يعد فـى العمر بقية . يقول عمران متوجهاً بالخطاب إلى جمر والتى قد تكون ذاته : [1]

يا جمرَ يا جمرَ لا يطمح بك الأمـلُ
فقد يكـذّبُ ظـنَّ الآمِـل الأجـلُ
يا جمرَ كيف يذوقُ الخفض معتـرفٌ
بالموتِ والموتُ فيما بعـده حلـل
كيـف أواسـيك والأيـام مقبلـةٌ
فيها لكل امرئ عن غيـره شـغلُ
وقـد أظلتـك أيّـام لهـا حَمَـسٌ
فيها الزلال والأهوالُ والوَهَـلُ [2]

---

[1] - شعر الخوارج ، ص ١٧٢ .

[2] - الحَمَسُ : الشدة ، الزلازل : يقصد بها الأهوال والشدائد .
الوَهَلُ : الخوف والفزع والذهول .

امرأة أخرى وشاعر خارجى آخر هو زياد الأعسمَ [1] الذى حاول أن يترك زوجه أيام عرسها لينطلق مع الخوارج ، ولكنها تلومه وتعاتبه مدفوعة بغريزة حب الحياة والبحث عن السعادة بجوار زوجها ، ولكنه يطلب منها أن تكف لأنه لا يعقل أن يترك الشراة والأهوال والمحن تحيط بهم من كل جانب. كان من الممكن أن يسمع لكلامها ولكن قبل أن يعتنق مذهب الخوارج يقول زيادُ الأعسم حين ترك عروسه وخرج [2] .

تعاتبنى عِرْسى على أن أطيعها
وقبلَ سليمى ما عصيتُ الغوانيا
فكفىً سليمى واتركى اللومَ إننى
أرى فتنة صماء تبدى المخازيا
فكيف قُعُودى والشراةُ كما أرى
عزين يلاقون البلايا الدواهيا

ثم نراه يحاول أن يذكرَ زوجه ببعض رموز الخوارج وهو داود بن النعمان العبدى المشهود له بالزهد والورع . فلعلها تقلع عن لومها وعتابها يقول زياد [3] :

سقى الله أجساداً تلوح عظامها
بفرضةِ موقوع سحاباً غواديا
فإن يك داودُ مضى لسبيله
فقد كان ذا شوق إلى الله تاليا

---

[1] – كان يرى رأى الأزارقة .
[2] – شعر الخوارج ، ص ١٩٠ .
[3] – شعر الخوارج ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

وقد كان ذا أهلٍ ومـــالٍ وغبطـــةٍ
وكان لما يَفنى من العـيشِ قاليـا
كأنّ الفتـــى داود لـــم يـــك فـيكمُ
ولم نره يوماً من الصـــــــوم باليا [1]
أقيم علـــى الـــدنيا كـــأنى لا أرى
زوالا لها وأحسبُ العـيش باقيـا
ألا فـــاذكرنْ داود إذ بـــاع نفســـه
وجاد بها يبغي الجنـــانَ العواليـا

ولم يتوقف الأمر عند اللوم والعتاب فقط بل قد يتعداهما إلى أن تهجر المرأة زوجها إذا ما وجدته يعد فرسه للخروج يقول الأعرج المعنى مخاطبـا زوجته بنت آل سعد [2] :

هـــاجرتى يـــا بنـــتَ آل ســـعدٍ
أ إن حَلبْـــتُ لقحـــةً للـــورد
جهلـــت مـــن عنانـــه الممتـــدّ
ونظـــرى فـــى عطفـــه الأبـــدّ
إذا جيـــاد الخيـــلِ جـــاءت تـــردى
مملـــوءةً مـــن غضـــبٍ وجـــردِ

---

[1] – كان داود عابداً مجتهداً وكان يقول لأصحابه : إنى قد مللت الدنيا والمقام فى دار الكفر مع الظلمة الكفرة ، ثم حج وتوجه فى أربعين من أصحابه إلى البصرة ، وكان أبـوه غنيا فحاول أن يثنيه عن ذلك فأبى وخرج إلى موقع فتوجه إليه جـيشٌ فقاتـل هـو وأصحابه حتى قتلوا جميعاً ، شعر الخوارج ، ص ١٨٩ .

[2] – شعر الخوارج ، ص ٢٤٥ ، والورد : الخيل بين الكميت والأشقر .

ولكن ربما كانت الزوجة تعاتب وتلوم أو حتى تهجر مدفوعة بالخوف على زوجها فهى لا تريد أن تفجع فيه . ولهذا نجد الأعرج المعنى يبرز هذا المعنى فى حديثه عن أم سهل والتى ربما تكون هى نفسها بنت آل سعد يقول مؤكداً معانى الأبيات السابقة [1] :

أرى أم سَهْلٍ ما تزال تفجّعُ
تلوم وما أدرى علامَ توجَّعُ
تلومُ على أن أمنحَ الوَرْدَ لقحةً
وما تستوى والوردَ ساعةً تفزع
إذا هى قامت حاسراً مشمعلةً
نخيبَ الفؤاد رأسها ما يقنّعُ
وقمت إليها باللّجام ميسّراً
هنالك يجزينى بما كنتُ أصنعُ

والخوف على الرجل من قِبل المرأة لم يعتبره الخارجى شعوراً سلبياً . بل كان يحترمه ويقدره ويجعله يضع المرأة فى ذاكرته حتى وهو فى قلب المعركة يتخيل قلقها وخوفها عليه فيتمنى ، أن يطمئنها ويجعلها تعايشه فى المعركة . " قيل للمهلب : ما أعجب ما رأيت من أمر الأزارقة ؟ قال : فتى كان يخرج إلينا منهم فى كلّ غداة فيقف ويقول :

وسائلةٍ بالغيب عنىّ ولو دَرَت
مقارعتى الأبطالَ طال نحيبُها
إذا ما التقينا كنتُ أولَ فارسٍ
يجودُ بنفسٍ أثقلتها ذُنوبُها [2]

[1] – شعر الخوارج ، ص ٢٤٣ .
[2] – شعر الخوارج ، ص ١٣٣ .

ولكن اللوم والعتاب والخوف على الرجل لم تكن سمات مشتركة عند كل نساء الخوارج . بل نجد بعضهن ينظر إلى الخـــروج والاشـــتراك فـــى المعارك على أنه زيادة للدخل وعودة الرجل محملاً بالهدايا . ولهذا لا نتعجب كثيراً إذا ما وجدنا امرأة تتوجه باللوم إلى زوجها وهو فى أرض المعركـــة لا لتجعله يترك المعركة ويعود إليها ولكن لأنه تأخر فى إرسال الهدايا .

فالهدايا لها فعل السحر فى تأليف القلوب وبالذات عند المرأة ، فالهدية عند المرأة – وبالذات من الزوج – لا تتمثل فى قيمتها المادية فقط ولكن فيما تحمله من التأكد من تقدير وحب الرجل لها ، وأنها ما زالت فـــى ذاكرتـــه . ولهذا وجدنا المرأة الخارجية كأى امرأة وكأى زوجة تريد أن تختبر عواطف زوجها نحوها ولهذا وجدناها تطالبه بالهدايا وهى تعلم أنه فى أحلك اللحظات إما أن يكون متحفزاً للهجوم على أعدائه ، أو متحفزاً لرد هجوم أعدائه .

وحول هذا نجد يزيد بن حبناء الخارجى يتوجه إلى زوجه بالخطـــاب طالباً منها ألا تتوجّه إليه باللوم لأنه تأخر عليها فى إرسال الهدايا ، وأن تصبر لأن ما هى فيه الآن لن يدوم طويلاً ، ويخبرها بأنها تعجلت الطلب ، فالهدايا لا تكون إلاّ من غنائم الحروب ، والحرب لم تنته بعد فكيف تطلب منه الهدايا الآن ! : يقول :

دعى اللومَ إنَّ العيشَ ليس بـــدائم
ولا تعجلى باللوم يـــا أمَّ عاصـــمِ
فإن عَجلتْ منك الملامَةُ فاســـمعى
مقالـــةَ معنـــىٍّ بحقّـــك عـــالمِ
ولا تعـــذلينا فـــى الهديَّـــةِ إنمـــا
تكون الهدايا من فُضُـــول المغـــانم

ثم يصور حالته النفسية وهو على رأس المعركة . فيقـول : كيـف يفكر فى الهدايا من حاله مثل حالى ! من مجالدة الأعداء طوال النهار وعـدم النوم طيلة الليل ؟ كيف يفكر فى الهدايا من وهب نفسه لله راجيا ثوابه طامعاً فى الشهادة ؟ كيف يفكر فى الهدايا من يقضى نهاره وليله متسربلاً بالدروع ، زرده على رأسه ، وسيفه على صدره ، يقول [1] :

فليس بمُهدٍ مـن يكـون نهـاره
جلاداً ويمسى لَيْلُـه غيـرَ نـائمِ
يريـد ثـواب الله يومـاً بطعنـةٍ
غموسٍ كشِدْقِ العنبرِ بـن سـالم
أبيت وسـربالى دِلاصٌ حصـينةٌ
ومغْفـرُها والسيف فوق الحيازم [2]

ثم يذهب إلى أن الجو المحيط به لا يجعله يفكر فى غير المعركة فقط، فكيف يفكر فى الهدايا لزوجته مع أن كل المحيطين بـه وهبـوا أنفسـهم لله وعزفوا عن كل متاع الدنيا ؛ ولا تراهم إلاّ والرماح مشرعة فـى أيـديهم ، مستعدين للقتل والقتال باستمرار ، يقول [3] :

---

[1] – شعر الخوارج ، ص ٨٥ .

[2] – دلاص : درع ملساء براقة لينة ، والمغفر : زرد يلبس تحت القلنسـوة ، والحيـازم : الصدور .

[3] – شعر الخوارج ، ص ٨٦ .

حلفــت بــربِّ الــواقفين عشــيّة
لدى عرفــات حلفــةً غيــر آثــم
لقد كان فى القوم الــذين لقيــتهُم
بسابورَ شغلٌ عن بُزوز اللطائم [١]
تَوَقَّــدُ فــى أيــديهم زاعبيّــةٌ
ومرهفةٌ تفرى شئون الجمــاجم [٢]
ترى الخيل تردى بالتجافيف بينهم
بفرسانها مرَّ النسور القشــاعمِ [٣]
إذا انتطحت منّا كراديسُ غــادرت
جراثيمَ صرعى للنسورِ القشاعمِ [٤]

وبرغم هذا لم ينس يزيد بن حبناء زوجه على الإطلاق بل هــى فــى ذاكرته على الدوام ولكنها تعجلت الأمر . يقول [٥] :

ولم أك مشغولا بسابور عنكم
وبالسفح إذ نغشى صدورَ الغواشمِ [٦]

---

[١] – البزوز : جمع بز أى أنواع الثياب ، واللطائم : الإبل التى تحمل البز والعطر .
[٢] – الزغابية : الرماح منسوبة إلى زاغب وهو رجل من الخزرج .
[٣] – التجافيف : جمع تجفاف وهو ما يوضع على الخيل وتجلل به من سلاح وآلــة تقيهــا الجراح .
[٤] – القشعم : النسر المسنّ ، الجراثيم : جمع جرثومة وهو ما اجتمع وتكوّم ، ويعنــى بــه جثث القتلى .
[٥] – شعر الخوارج ، ص ٨٦ .
[٦] – الغواشم : الظلام الدامس .

وإذا كانت المرأة فى ذاكرة الرجل باستمرار ، يتذكرها حتى فى أشد الأوقات . فهى أيضاً كانت شديدة القرب من زوجها تشاركه مشاعره والتى يغلب عليها دائماً الحزن والأسى . نظراً لكثرة قتلاهم . ولهذا نجد الزوجة تبكى لحزن زوجها حتى تختلط دموعها بدموعه مخففة عنه آلامه وشجونه ، يقول عمرو بن الحصن العنبرى وهو يرثى جماعة من الشراة موضحاً مشاعر زوجه ، جاعلاً من وصف مشاعرها مقدمة لقصيدة طويلة من عيون شعر الرثاء عند الخوارج [1] :

هبّت قبيل تبلج الفجر
هندٌ تَقول ودمعها يجرى
إذا أبصرت عينى وأدمعها
ينهلُ واكفها على النحرِ
أنىّ اعتراك وكنت عهدى لا
سربَ الدموع ، وكنت ذا صبر
أقذى بعينك ما يفارقها
أم عائر أم مالها تذْرى [2]
أم ذكرُ إخوان فجعت بهم
سلكوا سبيلهم على قدرِ
فأجبتها بل ذكرُ مصرعهم
لا غيره عبراتها يمرى
يا ربّ أسلكنى سبيلهمُ
ذا العرش ، واشدُدْ بالتقى أزرى

[1] – شعر الخوارج ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .
[2] – العائر : ما يصيب العين فيعلّها .

فـــى فتيـــةٍ صـــبروا نفوســـهم
للمشـــــرفيَّةِ والقنـــــا السّـــــمْرِ
تـــــالله ألقـــــى الـــــدّهرَ مـــــثلهم
حتـــى أكـــون رهينـــة القبـــرِ

امرأة أخرى تشارك الرجل فى حزنه على قتلاهم . يقول الخيبـرىّ ؛ وهو من أصحاب الضحاك [1] :

وقائلـــة ودمـــع العـــين يجـــرى
على روح ابن علقمـــة الســـلامُ [2]
أ أدركـــك الحمـــامُ وأنـــت ســـارٍ
وكـــلّ فتـــى لمصـــرعه حمـــام
فـــلا رعـــش اليـــدين ولا هـــوانٌ
ولا وَكـــلُ اللقـــاء ولا كَهـــامُ [3]
ومـــا قتـــلُ علـــى شـــارٍ بعـــارٍ
ولكـــن يقتلـــون وهـــم كـــرامُ
طغامُ النـــاس لـــيس لهـــم ســـبيلٌ
شجانى يا ابن علقمـــة الطغـــام [4]

---

[1] – شعر الخوارج ، ص ٢٠٦ .

[2] – عبد الملك بن علقمة : أحد القادة البارزين فى جيش الضحاك بـن قـيس قتـل سـنة ١٢٧هـ .

[3] – هوان : الأحمق البليد ، الوكل : الرجل الضعيف الجبان البليد .

[4] – الطغام : الأرازل الحمقى الأوغاد .

وإذا كانت المرأة تشارك زوجها آلامه وأحزانه فى حياته فليس أقل من أن تبكيه بكاءً حاراً بعد وفاته ، بالذات إذا مات مقتولاً فى معركة ، يصور لنا أيوب بن خولى البجلى هذه المشاعر فيقول فى رثاء أحد القتلى [1] .

تركت تميم بن الحُبابِ ملحَّباً
تبكى عليه عِرْسُهُ وقرائبه

فإذا ما مات الرجل وسكنت الجوارح عند المرأة ، فسرعان ما تبرز سمة الوفاء عند المرأة الخارجية كنزعة إنسانية توجد عند الكثيرات . وتجسّد لنا جمرة هذه السمة فى قصتها مع زوجها الأول سويد بعد موت عمران بن حطان ، " فلما توفى عمران جاء سويد بن منجوف يخطب جمرةَ فقالت له : مكانك حتى أخرج إليك ثم قامت فدخلت إلى مخدع لها فلبست مطرفاً كان لعمران ، ولفت عمامته على رأسها ، وخرجت ، فقال لها سويد ما هذا يا جمرة ؟ فقالت : إنى سمعت خليلى أباشهاب (عمران) يقول : " وتلبس يوما عِرسه ... " فأحببت أن أصدق قول أبى شهاب : يلبس هذا من ثيابه ، فانصرف عنى من حيث جئت فلا حاجة لى فى التزويج بعد أبى شهاب " [2] . وهى تشير لبيتين لعمران يقول فيهما [3] :

وتلبسَ يوما عِرْسُهُ من ثيابه
إذا قيل هذا يا فلانةُ خاطبُ
كأن لم تكن من قبل ذاك ولم يكنْ
نصيبٌ لها فى سالف الدهرِ صاحب

[1] – شعر الخوارج ، ص ١٩٧ ، والملحب : المقطّع .
[2] – شعر الخوارج ، هامش ، ص ١٤٩ .
[3] – شعر الخوارج ، ص ١٤٩ .

والبكاء على الزوج الراحل لم تكن سمة من سمات المرأة فقط بل هى سمة يشاركها فيها الزوج عندما ترحل زوجته ، فسرعان ما يبكيها بكاءً حاراً موضحاً الفراغ الذى تركته والأخلاق التى كانت تتخلق بها . يقول مالك المزموم راثياً امرأته أم العلاء [1] :

امررْ على الجَدَثِ الذى حلت بـــه
أمُّ العـــلاءِ فنادهـــا لـــو تســـمعُ
أنّى حللتِ وكنـــتِ جـــدَّ فروقـــةٍ
بلداً يمـــرُّ بـــه الشـــجاعُ فيفـــزعُ
صلى الإلهُ عليـــك مـــن مفقـــودةٍ
إذ لا يلائمـــك المكـــانُ البلقـــعُ
فلقـــد تركـــت صـــبيةً مرحومـــةً
لم تدرِ ما جَـــزَعٌ عليـــك فتجـــزعُ
فقدت شمائل من لِزامِـــك حُلـــوَةً
فتبيـــت تســـهرُ ليلهـــا وتَفَجَّـــعُ
فّإذا ســـمعتُ أنينهـــا فـــى ليلهـــا
طَفقتْ عليك شئونُ عينـــى تـــدمعُ

فالشاعر يتوجه بالحديث لزوجته قائلاً : كيف سكنت هذا المكان القفر الذى يفزع الشجاع إذا مرّ به وعهدى بك ضعيفة القلب شديدة الخوف ، ويدعو لها الله بالرحمة حيث رقدت فى مكان لا يتناسب مع رقتها وضعفها . ثم يشير الشاعر إلى ابنته الصغيرة التى فقدت أمها والتى لا تدرى المصيبة التى حلت بها ، ولكنها فقدت سجايا وأخلاقاً حميدة ، وعطفاً وحناناً ، تبيت الليل تبكـــى

[1] – شعر الخوارج ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

لإحساسها بهذا الفقد . مما جعلت الأب يبكى من أجل الابنة ومن أجل أمهـا الراحلة .

وإذا كانت هذه سمات المرأة الخارجية وهى سمات أى امرأة عاديـة تتجاذبها نوازع إنسانية خاصة مع زوجها إلاّ أنها لو تحولت إلى فتنـة بـين الرجال يكون مصيرها القتل مثلما حدث فى معسكر قطرى بن الفجاءة . حيث يقول رجل من الخوارج فى أبى حديد العبدى – أحد رجال قطرى بن الفجاءة – حين قتل امرأة أثارت فتنة [1] .

كفانـا فتنـةٌ عَظمَـتَ وحلَّـتْ
بحمـد الله سـيفُ أبـى حديـدِ
تَغـالى المسـلمون بهـا وقـالوا
على فرطِ الهوى : هل من مزيـدِ
فزاد أبو الحديـد بفضـل سـيفٍ
رقيق الحدِّ ، فعـلَ فتـىً رشـيد

يوضح البلازرى هذه الحادثة فيذهب : " إلى أن هذه المـرأة هـى أم حفص بنت المنذر بن الجارود زوج عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد ، فتزايد عليها قوم أسلموا من المجوس وصاروا خوارج ، ففـرض لهـم الخـوارج خمسمائة خمسمائة ، حتى بلغوا بها سبعين ألفاً ، فغم ذلك قطرى بن الفجـاءة وقال : ما ينبغى لرجل من المسلمين المهاجرين أن يكون له سبعون ألف درهم وإن هذه لفتنة ، فضربها أبو الحديد العبدى فقتلها ، فأخذوه ، فقال قطـرى :

[1] – شعر الخوارج ، ص ١٣٧ .

مهيم يا أبا الحديد ، قال : يا أمير المؤمنين خشيت الفتنة عليهم فى هذه المشركة ، قال أحسنت [1] " .

عجبا أن يحدث هذا بين من يدعون أنهم حماة الدين والقائمون على تنفيذ أحكامه . يسبون امرأة متزوجة ويقيمون لها مزاداً فيما بينهم وعندما يختلفون تقتل المرأة حتى لا تحدث فتنة . فى أى دين هذا ، ولأنها فى الأساس مشركة فى عرفهم يباح دمها حتى لو كانت مسلمة ما دامت ليست على مذهب الخوارج .

فإذا ما تركنا المرأة كزوجة وانتقلنا إلى المرأة كابنة ، وجدنا الابنة تشكل عاملاً مهما فى حياة الآباء ، لأنها عنوان العرض والشرف فصيانتها مطلوبة دائماً من الآباء ، كما أنهن يمثلن الجانب الأضعف دائماً الذى يحتاج الرعاية وبالذات صغيرات السن منهن ، لدرجة أن البنت كانت تمثل عبئاً نفسياً للرجل حتى أنه يخشى أن يموت مخلفاً بنات ، وحتى أنه يرحب بالموت مسروراً به ما دام ليس عليه دين وليس له بنات . يقول ابن الأعرابى : " سمعتُ شيخاً أعرابيا يقول : إنىّ لأسرّ بالموت ، لا دَيْن ولا بنات " [2] .

ومنذ العصر الجاهلى تقف أبيات المعلى الطائى شامخة فوق صفحات التاريخ لتدلل على العلاقة الوطيدة بين الرجل وبين بناته والتى تخلق نوعاً من الحنان الزائد من الأب لدرجة أنه لا يستطيع أن يتركهن وينتقل من مكان إلى

---

[1] – أنساب الأشراف للبلاذرى ، ٣ / ٢٣ ، سنة ١٩٧١ .

[2] – البيان والتبيين للجاحظ ، جـ٣ / ١٤٩ .

مكان ، كما أنه حريص عليهن لدرجة لو مست الريح إحداهن ولو مساً خفيفاً امتنعت عينه عن الغمض . يقول المعلى [1] .

لـــولا بنيـــات كزغـــب القطـــا
حُططـــن من بعض إلى بعض [2]
لكـــان لـــى مضـــطرب واســـعٌ
فى الأرض ذات الطُول والعَرْضِ
إنّمـــــا أولادنـــــا بَيْننـــــا
أكبادنـــا تمشـــى علـــى الأرض
إن هبّت الـــريح علـــى بعضـــهم
لم تشـــبع العـــينُ مـــن الغمـــضِ

أو هذه العلاقة الوطيدة بين الرجل وابنته التى يصورها لنا مالك بـــن الريب " حين ذهب قبل الانصراف مع الجيش خارج الديار إلى توديع ابنتـــه التى تعلقت بثوبه وبكت وقالت له : أخشى أن يطول سفرك أو يحول المـــوت بيننا فلا نلتقى ، فبكى مالك – ربما لأول مرة . وأنشأ هذه القصيدة التى تلقى من قارئها غرابة ودهشة إذا ما عرف أنها صادرة عن لص الأمس ، قـــاطع الطريق ، قاتل النفس ، معكر صفو الأمن ... يقول مالك وهو يبكى مودعـــاً ابنته [3] :

---

[1] – العقد الفريد ، جـــ٢ / ٤٣٤ .

[2] – وفى رواية " رددن " .

[3] – رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية ، د. مصطفى الشكعة ، ص ٣٥٩ ، وما بعدها الدار المصرية اللبنانية ، ط١ ، سنة ١٩٩٧ ، القاهرة .

ولقد قلتُ لابنتـــى وهـــى تبكـــى
بـــدخيل الهمـــوم قلبـــاً كئينـــا
وهى تُذَرى من الدموع على الخدِّ
ين مـــن لوعـــة الفـــراقِ غُروبَـــا
عبراتٍ يَكدْنَ يجـــرحنَ مـــا جُـــزْ
نَ بـــه أو يَـــدَعْنَ فيـــه نـــدوبا
حَذَرَ الحتـــفِ أن يُصـــيبَ أباهـــا
ويلاقى فى غيـــرِ أهـــل شَـــعْوبا
اسكُتى قد حززتِ بالـــدمع قلبـــى
طالمـــاَ حَـــزَّ دَمْعكُـــنَّ القُلُوبَـــا
فعســـى الله أن يُـــدافع عنـــى
رَيْبَ ما تحـــذرينَ حتـــى أوُوبـــا
ليس شـــىءٌ يشـــاؤه ذو المعـــالى
بعزيـــز عليـــه فـــادعى المُجِيبـــاَ
ودعـــى أن تقطعـــى الآن قلبـــى
أو تُرينـــى فـــى رحلتـــى تعـــذيبا
أنـــا فـــى قبضـــةِ الله إذا كنـــ
ـت بعيـــداً أو كنـــتُ منـــك قريبـــا
كم رأينا امـــرأ أتـــى مـــن بعيـــد
ومقيمـــاً علـــى الفـــراشِ أصـــيبا
فـــدعينى مـــن انتحابـــك إنـــىٌ
لا أبالى – إذا اعتزمتُ – النحيبـــا
حســـبى اللهُ ثـــم قربـــتَ للســـ
ـــير عَلاةً أنجـــب بهـــا مركـــوبـــا

هكذا ينقل لنا مالك بن الريب المشاعر الإنسانية الفياضة بينه وبين ابنته والتى ستبقى ما بقى رجل وابنته على ظهر الأرض .

هذه المشاعر لم تكن بعيدة عن الخوارج فبرغم أنهم كانوا غلاظ القلوب على أعدائهم . إلاّ أنهم كانوا أرق ما يكون على بناتهم ، فالعواطف الإنسانية واحدة لا تتغير ، ولهذا وجدنا البنت تشغل بال والدها على الدوام . وما ذاك إلاّ لضعفها وقلة حيلتها ، ولهذا كانت هذه العاطفة المشبوبة بين الرجل وبناته. فالرجل الخارجى لا ينفك من أسر هذه العاطفة ، فأبو خالد عيسى بن فاتك الخارجى يتقاعس عن الاشتراك فى القتال مع الخوارج مفضلاً القعود على الجهاد معهم . وعندما لامه قطرى بن الفجاءة على ذلك فى شعره حيث يقول : [1]

أبا خالد انفر فلست بخالد
وما جعل الرحمنُ عذراً لقاعدِ
أتزعم أن الخارجى على الهُدى
وأنت مقيم بين لصٍ وجاحدِ

فيكتب إليه أبو خالد موضحاً له أنه لم يترك الجهاد رغبة فى القعود ولكن ذلك بسبب الخوف على بناته من الفقر والعرى أو يشربن كدر العيش بعد عيشتهن الصافية معه ، أو أن يتعهد بأمرهن من هو غليظ القلب فيعاملهن بلا رحمة ولا شفقة . فخوفه على بناته هو سر تعلقه بالحياة ولولا هذا لركب جواده وانطلق مع الخوارج . يقول أبو خالد [2] :

---

[1] – الكامل للمبرد ، جـ٣ / ١٠٨١ .

[2] – شعر الخوارج ، ص ٥٧ ، ٥٨ ، والكامل ، جـ٣ ، ١٠٨٢ .

لقـــد زاد الحيـــاةَ إلـــيّ حُبـــاً
بنـــاتى إنهـــنَّ مـــن الضـــعافِ
مخافة أن يَـــرَيْنَ البـــؤس بعـــدى
وأن يشربْنَ رَنْقـــاً غيـــرَ صـــافِ
وأن يَعْرَيْنَ إن كســـى الجـــوارى
فتنبو العين عـــن كـــرمٍ عجـــافِ
وأن يضـــطرهُنَّ الـــدَّهرُ بعـــدى
إلى جلفٍ مـــن الأعمـــام جـــافِ
فلولا ذاك قـــد ســـوّمت مُهْـــرى
وفى الـــرحمنِ للضـــعفاء كـــافِ
تقـــول بُنيّتـــى أوْصـــى المـــوالى
وكيف وصاةُ من هو عنك جـــافِ
أبانـــا مـــن لنـــا إن غبـــتَ عنـــا
وصار الحىُّ بعدك فـــى اخـــتلافِ

إنها صرخة ابنة ينقلها أبو خالد عيسى بن فاتك ، " أبانا من لنـــا إن غبت عنا " ، إنها صرخة تهز عرش أقوى القلوب ، ولهذا فضل هذا الرجـــل القيام على حاجة بناته على جهاد قريب أيضاً إلى نفسه .

ونجد خارجيا آخر ترك أولاده وبناته وذهب ليشارك مع قطرى بـــن النجاءة فى بعض المعارك ضد جيش المهلب بن أبى صفرة ، ويـــدأ المهلـــب يطاردهم ويحقق انتصارات عليهم فنفر قطرى وجنوده . فنجد هذا الرجل يفكر أول ما يفكر فى بناته ، كيف حالهم الآن فى أرض (جيرفت) وماذا لو وقعوا

فى الأسر وتحولت بناته إلى سبايا . فنجده يخاطب الجانب الإنسانى فى المهلب بن أبى صفره محاولاً استعطافه على غير عادة الخوارج حتى لا يصنع فى بناته وعياله ما يصنعه غيره فى هذه المواقف .

يقول عبيدة بن هلال اليشكرى مستعطفاً المهلب وخائفاً على عياله [1] :

قرّت العين بالشراة وأمسى
للمحلين غير ما زلزالِ
وتبارى المهلب بن أبى صفرة
للموت عند هلك الرجالِ
مدّ رجليه للقراع من الحرب
ومد اليدين للأنفالِ
وعيالى مطرّحون بجيرفت (م)
لك الخير أين منىّ عيالى
إن تنلهم يَدُ المهلب فى الحرب (م)
سبايا فإننى لا أبالى
يمنع الشيخ منهم عِظَمُ الخطب
وأن ليس بيعهم بحلالِ
إنّ من خالهُ المهلبُ فى النا
س له هيبةٌ وعِزُّ جلالِ

فأبو عبيدة يرضى أن يتنازل عن كرامته وكبريائه من أجل بناته .

[1] – شعر الخوارج ، ص ١١٢ ، طبعة دار الشروق .

وخبرٌ آخر يرويه عمران بن حطان يقول : " قال لى خبيبة – خبيبة النصرى من قيس كان مجتهداً – لما عزمتُ على الخروج فكرت فى بناتى ، فقلت ذات ليلة : لأُمْسِكنَّ عن نفعهنّ حتى أنظرُ ، فلما كان فى جـــوف الليـــل استسقت بنيَّةٌ لى ، فقالت : يا أبتِ اسقنى ، فلم أجبها ، فأعادت فقامت أخَيَّةٌ لها أسَنَّ فسقتها فعلمت أن الله عز وجلّ غير مضيّعهن فأتممت عزمى " [1] .

فهذا الخبر يدل على خوف الخارجى على بناته والتفكير فيهن وهـــذه نزعة إنسانية يشترك فيها الخارجى وغير الخارجى .

وبهذا نكون قد انتهينا من دراسة المرأة الخارجية كإنسانة وأنها لم تكن مقاتلة مجاهدة طوال الوقت بل كانت تتصرف فى حـــالات كثيـــرة مدفوعـــة برغباتها ونوازعها الإنسانية كغيرها من النساء .

[1] – الكامل للمبرد ، جـــ٣ / ١١٨١ .

الفصل الثالث

المـــرأة شـــاعرة

اشتهر الخوارج بالفصاحة والبلاغة والبيان والجدل ، وذلك لأن معظم الذين خرجوا منهم فى البداية على الإمام علىّ بن أبى طالب كانوا من القرّاء الذين كانوا يحفظون القرآن مما صقل ألسنتهم ووسع مداركهم وإن نحت بهم ثقافتهم إلى الجدل والتأويل . أغلبهم امتلك اللغة ومع الموهبة انساب الشعر على ألسنتهم بدون تصنعه واحترافه كما تنساب العين الثرة من صخور الجبال.

ونساء الخوارج لم يكنّ أقل من الرجال فى الفصاحة والبلاغة والشعر لأن البيئة التى خرج منها الرجال هى نفسها البيئة التى خرج منها النساء ولهذا لا نتعجب إذا ما وجدنا أكثر من امرأة خارجية تتسم بالفصاحة ، وأخرى تفهم الشعر وتحكم فيه ، وأخريات يقرضن الشعر ولهن فيه باع .

ونحن فى هذا الفصل سنتوقف عند المرأة الخارجية شاعرة ، ونحاول إلقاء النظرة على الشعر الخارجى للمرأة من حيث قضاياه وموضوعاته وسماته الفنية .

وقبل أن نسترسل فى دراسة المرأة شاعرة ينبغى أن ننوه – بالأمثلة– إلى فصاحة المرأة الخارجية وثقافتها الأدبية حتى وإن لم تقرض الشعر . فنجد امرأة تقف أمام الحجاج بن يوسف الثقفى كى يصدر القرار بقتلها ولكن فصاحتها وثقافتها الدينية أخرت إصدار هذا القرار بل وتسببت فى إطلاق سراحها ، جاء فى العقد الفريد ، أن " الهيثم بن عدىّ قال : أُتِى الحجاج بحرُورية ، فقال لأصحابه ما تقولون فى هذه ؟ قالوا : اقتلها – أصلح الله الأمير – ونكِّل بها غيرها ، فتبسمت الحَرُورية ؛ فقال لها : لِمَ تبسمت ؟ فقالت: لقد كان وزراء أخيك فرعون خيراً من وزرائك يا حجاج ، استشارهم

فى قتل موسى ، فقالوا : أرجه وأخاه ، وهؤلاء يأمُرونك بتعجيل قتلى ، فضحك الحجاج ، وأمر بإطلاقها " [1] ، وهى تشير إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ صدق الله العظيم (الأعراف ١٠٩-١١١)

ولئن اتسمت هذه المرأة بالفصاحة والجرأة وسرعة استدعاء الشاهد القرآنى ، فإن قطام ، المرأة التى دفعت عبد الرحمن بن مُلجَم إلى قتل علىّ ابن أبى طالب – كانت تتسم بثقافة أدبية بالغة ، حيث كانت تحفظ الشعر وتجيد نقده ، وقصتها مع كثيِّر عزة ، تذكرنا بقصة النابغة مع حسان بن ثابت الأنصارى . جاء فى الموشح [2] : " حدثنى محمد بن إبراهيم ، قال : حدثنا أحمد بن خيثمة ، عن سليمان بن أبى شيخ ، عن عوانة بن الحكم ، وذكر مقتل أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب – رضى الله عنه – وأمر قطام وعبد الرحمن بن مُلجَم وتزويجها إياه ليقتل أمير المؤمنين علياً ، فبلغ كثيراً ذلك ، فقال : لآتينّها . فأتاها ، فقالت قطام لكثيِّر : "تسمع بالمُعَيْدى خير من أن تراه".

---

[1] – العقد الفريد ، جـ٢ ، ص ١٤٤ .

[2] – الموشح للمرزبانى ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

فقال : كثيّر :

رأت رجلا أوْدَى السّقام بجســمه
فلــم يَبْــقَ إلاّ منطــقٌ وجَنــاجِنُ
فإن أكُ معــروقَ العظــام فــإننى
إذا ما وَزَنْتُ القــوم بــالقوم وازنُ
وإنى لما استودعتنى مــن أمانــة
إذا ضُيِّعَ الأسرارُ أي يا عَزُّ دافــنُ

قالت : الحمد لله الذى قصّر بك فصرت لا تُعرفُ إلاّ بعزة .
قال : والله ما قصر الله بى ، فقد سار بها شعرى ، وطار بها ذكرى ، وقرب بها مجلسى ، وطابت نفسى ، وإنها كما قلتُ ووصفت ، قالت : فكيف قلت ؟ قال : قلت :

وإنّا سمونا بالوصالِ إلــى التــى
يكون ســناءُ ذكرُهــا وازديارُهــا
إذا خفيــت كانــت لعينــك قــرّةً
وإن تبدُ يوما لم يعمّمــك عارُهــا

فقالت له : مُرَّ فى قصيدتك – فقال :

من الخفرات البيض لم ترَ غلظــةً
وفى الحسب الضّخم الرفيع نجارُها
وما روضة بالحزن طيبة الثــرى

وذكره وذكر البيت الذى بعده [1] ، قالت : تالله ما رأيت شاعراً قط أقلَّ عقلا ، ولا أضعف وصفاً منك ، والله لو فعل ذلك بزنجية لطـــاب ريحهـــا ، لامرؤُ القيس أشْعرُ منك و أوصف حيث يقول :

خليلى مرّبـــى علـــى أمّ جُنـــدَبِ
لنقضىَ لُبنـــاتِ الفـــؤادِ المعـــذّبِ
ألم تر أنّى كلمـــا جئـــتُ طارقـــاً
وجدْتُ بها طيباً وإن لـــم تُطيَّـــبِ

فقام كُثَيِّر وهو يقول :

الحقُ أبلـــجُ مـــا يخيـــلُ ســـبيلهُ
والحـــقُّ يعرفـــه ذَوُو الألبـــاب

والأمر لم يكن مقصوراً على قَطام وفصاحتها ودرايتها بالشعر فقـط فهناك جمرة زوج عمران بن حطان الشاعر الخارجى تسأل زوجها عن شعر كذب فيه فقد قيل : " إن امرأة عمران بن حطان قالت له ألم تـزعم أنـك لا تكذب فى شعرك ؟ قال : بلى ، قالت : أفرأيت قولك :

---

[1] – يشير إلى الأبيات :

وما روضة بالحزن طيبة الثرى
يمج الندى جثجاثُهـا وعَرَارُهـا
لها أرج بعْـدَ الهـدوء كأنّمـا
تلاقت بهـا عطـارةٌ وتجارُهـا
بأطيب من أردان عزّة مُوْهنـا
وقد أوقدت بالمجمر اللّدنِ نارُهـا

(الموشح ، ص ٢١٤) .

وكذاك مجزأة بن ثـــور
كان أشجع من أســـامة

أيكون رجل أشجع من الأسد ؟ قال : نعم إن مجزأة بن ثور فتح مدينة كذا ، والأسد لا يقدر على فتح مدينة " [1] .

فقطام وجمرة ينتميان إلى بيئة عمادها الفصاحة والبلاغة وحفظ القرآن وتعاطى الشعر ، فى فلا نعجب لهذا القدر الكبير من ثقافتهن ، يقول أبو الفرج الأصفهانى مصوراً هذه البيئة المحبّة للقرآن والشعر : " أخبرنى محمد بن خلف عن الهيثم بن عدى ، قال : كان عبيدة بن هلال إذا تكافّ الناس ناداهم ليخرج إلىّ بعضكم فيخرج إليه فتيان من العسكر فيقول لهم أيّما أحبّ إليكم أقرأ عليكم القرآن ، أو أنشدكم الشعر ، فيقولون أمّا القرآن فقد عرفناه مثل معرفتك فأنشدنا ، فيقول لهم : يا فَسَقَة والله قد علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن ثم لا يزال ينشدهم ويستنشدهم حتى يملّوا ثم يفترقون " [2] .

وبعد ، فهذه شواهد تدل على فصاحة المرأة الخارجية ومدى مقدرتها على حفظ الشعر وفهمه ونقده . وكل هذا يشير إلى البيئة الثقافية لحزب الخوارج . بقى أن نتوقف عند المرأة المبدعة التى لا تحفظ الشعر وتتذوقه فحسب ؛ بل تقرضه وتبرع فيه .

وأول ما يلفت النظر لشواعر الخوارج أنهن قد عُرِفن من خلال رجال من الخوارج وبالذات فرسانهم ، فأم حكيم كانت مع زعيم الأزارقة قطرى بن

---

[1] – الأغانى : جـ١٦ ، ص ١٥٩ ، دار صعب ، وانظر أعلام النساء ، جـ٣ / ٣٤٦ .
[2] – الأغانى : جـ٦ ، ص ٧ .

الفجاءة ، وأخت الحازوق كان أخوها أحد ولاة الخوارج لنجدة الحنفى ... وأم عمران الراسبى هى والدة أحد قادة الأزارقة ، والجعيداء هى زوجة أبى حمزة الشارى ، ومليكة الشيبانية كانت أخت الضحاك بن قيس ، وليلى بنت طريف أخت الوليد الشارى رأس الشراة فى عهد هارون الرشيد . أما عميرة زوجة مجاشع فلا نعرف عنها سوى تمردها على زوجها وتفضيلها الخروج على بيت الطاعة الزوجية [1] .

فالرجل هو محور حياة الشاعرة الخارجية ومحور شاعريتها أيضاً ولكننا عندما نطالع شعر شواعر الخوارج سنجد أنّ ما وصلنا من شعرهم يعد قليلاً للغاية . هذه القلة تنسحب على شعر نسائهم كما تنسحب على شعر رجالهم . فعند استعراضنا لديوان شعر الخوارج الذى جمعه الدكتور إحسان عباس وجدنا أن عدد الشعراء والشواعر فيه يبلغ ستة وتسعين شاعراً وشاعرة بالإضافة إلى خمسين شاعراً وردت أشعارهم تحت عبارة قال أحد الخوارج أو قالت امرأة من الخوارج . ومجموع الشواعر من بين هذا العدد إحدى عشرة شاعرة بالإضافة إلى شاعرة أخرى هى ليلى بنت طريف التى وجدت فى العصر العباسى فى عهد هارون الرشيد ولم يذكرها الدكتور إحسان عباس فى الديوان ، هؤلاء الشواعر لم يصل من شعرهن غير ثلاث وعشرين مقطوعة وقصيدة لا يتجاوز عدد أبياتها مجتمعة مائة وأربعين بيتاً من الشعر فى ديوان لم يتعدّ مجلداً واحداً متوسط الحجم من الممكن أن ينتجه شاعر واحد أو شاعرة واحدة . هذا إذا استثنينا الطرّماح بن حكيم الذى له ديوان شعر مطبوع ولم يقل فى الشعر الخارجى إلاّ مقطوعات بسيطة أوردها الدكتور إحسان فى ديوان شعر الخوارج .

---

[1] – الخوارج فى العصر الأموى : د. نايف معروف ، ص ٢٥٠ .

هذه القلة المعهودة فى شعر الخوارج ربما يكون لها أسباب تسببت فيها منها : " إن الخوارج لم يتخذوا الشعر حرفة يتكسبون بها ولا تعاطوه فنَا للمباهاة والمساجلة ، بل كان وسيلة لغاية وتلبية لحاجةٍ آنيّةٍ ليس غير ، ومن هنا فإنهم لم يحرصوا كثيراً على روايته أو إثباته " [1] .

ومما يدلل على ذلك أن شاعرهم الكبير وعالمهم ومفتيهم عِمران بن حطان " كان يرى أن الشعر وسيلة كريمة للتعبير عن العقيدة واستنهاض الهمم، وكان يربأ بالشعر أن يهان أو يستغل للتكسب والسؤال ، ومن الطرائف التى تروى فى هذا السبيل : أنه مر يوماً فوجد جمعاً من الناس يستمعون لشاعر ينشدهم شعراً فى المديح ، ولم يكن هذا الشاعر غير الفرزدق فانطلق عمران قائلاً :

أيها المادح العباذ ليعطى
إن لله ما بأيدى العبادِ
فاسأل الله ما طلبت إليهم
وارْج فضل المقسّم العوَّادِ
لا تقل فى الجواد ما ليس فيه
وتُسمِّ البخيل باسم الجواد [2]

وربما يؤيد هذا أيضاً أن جميع قصائدهم لم تكن شعر مناسبات فلم نجد فيها الفخر أو المدح وإنما وجدنا كل شعرهم يدور فى فلك الجهاد والتقوى والاستبسال فى الحرب واحتقار الحياة الدنيا وابتغاء الشهادة ورثاء قتلاهم .

---

[1] – الخوارج فى العصر الأموى ، ص ٢٥٤ .

[2] الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية ، د. مصطفى الشكعة ، جـ١ ، ص ١٤٧ ، ١٤٨.

وربما يكون من الأسباب فى قلة شعرهم يعود إلى الحروب المتتاليـــة التى شغلوا بها حياتهم القائمة على الجهاد ومناوءة الدولة فلم تفسح لهم هـــذه الحياة الدامية فرصاً لقول الشعر " [1] ، ولعل هذه الحروب المتواصلة أســفرت عن موت العديد من هؤلاء الشعراء . حيث كان أبرز شعرائهم فرسانهم فـــى الحروب أمثال قطرى بن الفجاءة وأم حكيم ، وليلى بنت طريف وأكثر هؤلاء مات فى ساحة المعارك ، أو كان متنقلاً بين القبائل هارباً مهدداً مثل عمـــران بن حطان مما يعد سبباً رئيساً لضياع شعر هؤلاء الشعراء .

وإذا أضفنا إلى ذلك " أن سيطرة القرآن على عقولهم ووجـــدانهم قـــد حال بينهم وبين الاهتمام الزائد بفن الشعر . فكانوا يقللون مـــن قولـــه رغـــم شاعريتهم فهذا أحد شعرائهم يقول :

تركت الشـــعر واســـتبدلت منـــه
إذا داعى صـــلاة الصـــبح قامـــا
كتـــاب الله لـــيس لـــه شـــريكٌ
وودعـــتُ المُدَامـــةَ والنـــدامى [2]

وإذا عرفنا أيضاً " أن الخوارج كانوا فئة غير محببة إلى النفـــوس ، ينظر إليهم المجتمع كجماعة مارقة من الدين ، وإن أكثر الرواة والمحدّثين فى ذلك العصر وما يليه كانوا إما من الشيعة أو من الأمويين ، أدركنا الأســـباب

---

[1] – السياسة والأدب الأموى ، ص ١٢٢ .
[2] – الخوارج فى العصر الأموى : نايف معروف ، ص ٢٥٢ .

التى من أجلها أهملت أكثر آثار هذه الفرقة السياسية الدينية ، فلم يصلنا منهـا إلاّ النزر الضئيل ... " [1] .

فإذا أضفنا إلى هذه الأسباب أن الشواعر من النساء قليلات فـى كـل عصر من العصور وأن إنتاجهن الشعرى فى العادة يكون أقل من إنتاج الرجل بكثير بررنا ندرة شعر شواعر الخوارج واللاتى قد يضاف إليهن أعباءٌ حياتيّة إضافية كقدر النساء دائماً .

ومع كل ذلك نستطيع أن نردد ما قاله الدكتور عبد القادر القط : " إن شعرهم فى أغلبه نفثات تلقائية قصيرة لا مجال فيها لكثيـر مـن التفـنن أو الإبداع. على أنه مع ذلك يستعيض عن الموهبة – فى كثير مـن الأحيـان – بحرارة العاطفة ونفاذ الرأى ، وإن اقترب أحياناً أخرى من النظم الذى يفتقـد الموهبة الشعرية الحقة " [2] .

ومما يدلل على أن الشعر كان فى أغلبه نفثات تلقائية غلبة المقطوعات الشعرية على شعرهم فمثلاً لا نجد فى شعر النساء ما نستطيع أن نطلق عليـه قصيدة شعرية غير قصيدة ليلى بنت طريف فى رثاء أخيها الوليد بن طريـف ويصل عدد أبياتها إلى ثمانية وعشرين بيتاً مع اختلاف فى بعض الروايات ، وقصيدتين أخريين يبلغ عدد أبيات كل منهما أحد عشر بيتاً وبقية الشعر بعـد ذلك يتوزع على عشرين مقطوعة شعرية يتراوح عدد أبياتها بين بيتين وثمانية

---

[1] – الخوارج : تاريخهم وأدبهم ، على حفّال ، ص ٥٤ ، دار الكتب العلمية ، بيـروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م .

[2] – فى الشعر الإسلامى والأموى : د. عبد القادر القط ، ص ٣٧٧ .

أبيات . فالمقطوعات شعرائهم هى النمط الغالب على شعر شواعر الخـوارج خصوصاً والشعراء عموماً ، بل يوجد فى شعرهم الكثير من النتف أيضاً .

هذا الجنوح إلى القصر فى الشعر ربما يكون مطلباً بلاغياً يتناسب مع الحركة الملتهبة التى كانت تموج فى صدور رجال الخوارج ونسائهم الـذين كانوا متفرقين فى البلاد بعيدين عن أوطانهم وعن أقربائهم فأحسوا بالمعانـاة مما جعلهم فى شغل شاغل عن تهذيب وتنقيح أشعارهم ، فجاءت أشعارهم فى مجملها ارتجالية عفوية تتسم بالقصر . كما أن " المقطعات قريبة التواصل مع بداية الفكر وتكوينه الأول ، فليس هناك بحث عن براهين منطقيـة ، ولـيس هناك تدبر فى كيفية إقناع الملتقى ، أو الولوج إلى عالمه الداخلى ، إنما الشعر يفيض لشعور الشاعر فحسب .

والمقطعات تقترب من شعور الإنسان ، ذلك الشعور المتغيِّر نتيجـة رياح المؤثرات الخارجية عليه ، فالإنسان فى اليوم الواحـد تهتـز مشـاعره كثيراً، وكل اهتزازة لها مؤثرها ، ولها وقعها ، ولها تأثيرها ولها إفرازهـا ، وكل منها تمثل تجربة مستقلة بذاتها ، وهكذا ؛ فإن المقطعات الشعرية تمثـل هذا التتابع الشعورى فى طبيعة الفرد " [1] وما كان أكثر الرياح المؤثرة علـى الخوارج إذ كانوا يتوقعون الخطر من كل مكمن .

فحياتهم لم تعرف الاستقرار على الإطلاق . يتنقلون من مكـان إلـى مكان متخفين فى النهار يتحركون فى الليل . فهم كما قال ابن حزم فى طوق الحمامة :

لم تستقر به دار ولا وطـــن
وما تدفأ منه قط مضجعـــه

---

[1] – المقطعات الشعرية ، ص ٧٣ .

وربما أدت المقطوعات الشعرية مطلباً أساسياً يتمثل فى إشعال روح الحماسة والجهاد لدى الخوارج لأن القصر أكثر ثباتاً واستقراراً فى قلب السامع وحافظته ، فهى أبقى لشبهها بالأمثال السريعة . وقد ساق أبو هلال العسكرى أمثلة عديدة تدور حول هذا الغرض . يقول : وقيل لبعضهم : لم لا تطيل الشعر ؟ فقال : حَسبُك من القلادة ما أحاط بالعُنُق .

وقيل للفرزدق : ما صيَّرك إلى القصائد القصار بعد الطوال ؟ فقال : لأنى رأيْتها فى الصدور أوْقع ، وفى المحافل أجول وقالت بنت الحطيئة لأبيها: ما بال قصارك أكثر من طوالك ؟ فقال : لأنها فى الآذان أولج ، وبالأفواه أعلَق .

وقيل لبعض المحدثين : مالَك لا تزيدُ على أربعة واثنين ؟ قال : هُنّ بالقلوب أوْقع ، وإلى الحفظ أسرع وبالألسن أعلق ، وللمعانى أجْمع ، وصاحبُها أبْلغ وأوْجز " [1] .

ويحلل الدكتور يوسف حسين بكّار هذه الروايات فيقول شارحاً : " ونستطيع أن نستشف الأسباب التى كانت تمنع الشعراء من الجنوح إلى القصائد الطوال ، وتميل بهم إلى القصار ونصنفها فى ثلاثة : فنى ونفسى وشكلى . يتمثل السبب الفنى فى تهذيب القصيدة وتنقيحها بحذف فضولها وما قد يتسرب إليها من حشو ، وفى الخوف من الانزلاق فى السقط والزلل ، وفى

---

[1] – الصناعتين : لأبى هلال العسكرى ، تحقيق على محمد البجاوى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، المكتبة العصرية – بيروت – لبنان ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

الاكتفاء بالقصار إذا أدت المعنى المراد ، وهذا هو الإيجاز الذى كان يبغيه النقاد ...

أما السبيان الشكلى والنفسى فمتداخلان عند أكثر الشعراء الذين كانوا يعمدون القصار تعمداً – وهذا هو سرّ الشكلية – لرواج سوقها فى الحفظ والعلوق بالأفواه والأسماع ، والسيرورة بين الناس ، ولكى يكتب لها الخلود والديمومة . لكنهم كانوا يراعون عنصراً نفسياً يتمثل فى تجنيب السامعين السّآمة والملل ، وفى إحداث تأثير أكبر وأقوى عن هذه الطرق " [1]

ونحسب أن شواعر الخوارج وشعراء الخوارج عموماً كانوا يركزون على الجانب النفسى ثم الشكلى ثم يأتى الجانب الفنى فى المؤخرة . فالمقطوعات عبرت عن حاجة ملحة أو موقف طارئ يستدعى القول ، أو تقرير للآراء الخارجية التى يؤمنون بها ، من إنكار للظلم وللنظام السياسى إلى الثورة على التهاون الدينى والفساد الخلقى والاجتماعى ، أو تقرير ستهانتهم بالحياة من أجل العقيدة " [2] ، أو الرغبة بالثأر من الكافرين والهجرة عن ديارهم . حتى نكاد نشعر ونحن نقرأ فى أشعارهم بإيمانهم بأن الإسلام لا يتجاوز حدود معسكراتهم وأن من عداهم من المسلمين ضال وملحد وكافر [3] . " فقد آمنوا بعقيدتهم واعتقدوا خطأ أن المسلمين ضلوا سواء السبيل ، أما هم فعلى الصراط المستقيم الذى تريده العناية الإلهية وهم يريدون أن يلووا

---

[1] – بناء القصيدة فى النقد العربى القديم : د. يوسف حسين بكار ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، دار الأندلس ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

[2] – السياسة والأدب الأموى ، ص ١٢٢ .

[3] الفرق الإسلامية فى الشعر الأموى ، ص ٤٣٦ .

المسلمين إليهم ، ولذلك يحاربونهم مستبسلين ، وكل منهم يريد أن يموت شهيداً في ساحة هذا الجهاد الديني الذى وهبوا أنفسهم له " [1] .

وإذا انتقلنا إلى دراسة موضوعات الشعر عند شواعر الخوارج لفت نظرنا سمة عامة مشتركة بين شعر النساء والرجال على حد سواء وهى : " أن هذا الشعر لم ينقل إلينا عقائد الخوارج الرئيسة التى التزموا بها ، فلم يحدثنا عن رأيهم فى الإيمان ، أو بارتكاب الكبائر ، والوعد والوعيد ، ولا تعرّض لقضية الإمامة وغيرها من العقائد الأخرى التى أصبحت فيما بعد جزءاً من سلوكهم الدينى والسياسى معاً كما لم يشيروا بشعرهم – لا من قريب ولا من بعيد -- إلى الفرق الخارجية التى افترقوا إليها إلاّ ما كان من أمر القعود الذى أخذت به قعديّة الصفْرية " [2] .

حتى الحديث عن القعود ورد فى أشعار الرجال ولم يرد فيما جاء عن النساء على الإطلاق .

وعدم إفصاح الخوارج عن آرائهم واتجاهاتهم السياسية أوقع المتلقى فى لبس شديد عند قراءة أشعارهم والتى كثيراً ما يعجب بها ويظنها دعوة إلى الجهاد فى سبيل الله ضد المشركين الكافرين وهو لا يدرى أن هذا الجهاد كان لشق عصا الطاعة ضد أئمة الأمة وأن المشركين والكافرين الذين يقصدونهم هم عامة المسلمين الذين يخالفونهم فى الرأى ومنهم الكثير من الصحابة المقربين من الرسول ﷺ أمثال على وطلحة والزبير رضى الله عنهم جميعاً .

---

[1] – التطور والتجديد فى الشعر الأموى ، ص ٩١ .

[2] – الخوارج فى العصر الأموى : د. نايف معروف ، ص ٢٨٦ .

أما عن أغراض الشعر عند النساء فإنه يقتصر على ثلاثة أغـراض فقط تتصل بحياتهم اتصالاً مباشراً وهى : الدعوة للجهـاد وحـب الشـهادة ، والرثاء ، والاستعطاف . لا يخرجون عن هذه الأغـراض علـى الإطـلاق بخلاف شعر رجالهم الذى فيه بعض قصائد المديح لقادتهم أو الهجاء لأعدائهم. وأكثر ما قالوه فى الشعر كان فى الرثاء الـذى بلـغ سـبع عشـرة قصـيدة ومقطوعة من مجموع ثلاث وعشرين قصيدة وأربع مقطوعات فـى الجهـاد ومقطوعة واحدة فى الاستعطاف ، ومقطوعة أخرى فى الرجـوع عـن رأى الخوارج .

فإذا بدأنا **بشعر الجهاد وحب الشهادة** لأنه هو الغـرض الأول عنـد الخوارج وجدنا أن شعرهم انطبع بطابع الجهاد ، وتمجيد الأبطال والإ شـادة بشجاعتهم ، وتفانيهم فى الاستشهاد وطلب الثواب والجنـة واسـتعداب مـا يرتكبون من فظائع تقرباً إلى الله وزلفى . وهم عندما يقدمون أنفسهم لله نجـد أن الموت هو غايتهم القصوى وكل ما هو دون ذلك تقصير وجبن . ومن هنا نجد شاعرهم البهلول بن بشر الشيبانى يقول حريصاً على الموت حرص غيره على الحياة [1] :

من كان يكـره أن يلقـى منيتـه
فالموت أشهى إلى قلبى من العَسَلِ
فلا التقدّمُ فى الهيجاء يُعْجلنى
ولا الحِذارُ ينجّينـى مـن الأجـل

---

[1] – شعر الخوارج ، ص ٢١٩ ، دار الشروق .

" فتكاد رغبتهم فى الموت فى سبيل عقيدتهم تغلب رغبتهم فى تحقيق أهدافهم التى خرجوا انتصاراً لها ، وحتى ليصبح رفض الحياة وطلب الموت لديهم هدفاً يطلب لذاته لا يعتوره حزن أو أسف ، ولا يسلم إلى يـأس حتـى لنشعر أن الموت عندهم على هذه الصورة لون من ألوان الأمل وضرب مـن الأمانى لأنه لا يعنى لديهم غير دخول الجنة ولقاء الإخوان والأبرار الأتقيـاء الذين تَقدَّموهم على الطريق " [1] .

إن هذه النزعة الشديدة نحو الاستشهاد هى ما يميّز عامة الخـوارج – خاصة فى بداية عهدهم – عن سائر الفرق الإسلامية ، حيث رأت الشيعة أن التقيَّة واجبة عندما يكون الخروج طريقاً للهلكة لـيس إلا ، ورأت السـنة أن الصبر على المكاره هو طريق الخلاص [2] .

ولم يكن حب الموت والاستشهاد هو السمة الغالبة فى شعر الجهاد بل يصاحبه دائماً السأم من الحياة ، فنجد أن الخوارج قد عافوا الحيـاة وملّوهـا واستصغروها ، وتعلّقوا بأخرى نعشّقوها ، ولم يروا فى العالم الأول إلاّ جسر عبور إلى العالم الآخر . فنجد كعب بن عميرة يأمل هذين المبـدأين ، حـب الموت فى المعركة والضيق من الدنيا التى يعيش فيها يقول : [3]

لقد فاز إخوانى فنالوا التـى بهـا
نَجوْا من عـذابٍ دائـم لا يُفتَّـرُ
أبـى الله إلاّ أن أعـيش خلافهـم
وفى الله لى عِزٌ وحرزٌ ومنصـرُ

---

[1] – الفرق الإسلامية : د. نعمان القاضى ، ص ٤٣٧ .
[2] – الخوارج : على جفّال ، ص ٨٢ .
[3] – شعر الخوارج ، ص ٧٤ ، دار الشروق .

ويا رب هب لى ضـــربةً بمهنّـــدٍ
حُسامٍ إذا لاقـــى الضـــريبةَ يُهْبَـــرُ

فقد طال عيشى فى الضلال وأهله
أخافُ التى يخشى التقـــىُّ وأحـــذرُ

أخاف صروف الدّهر إنى رأيتهـــا
تروح على هـــذا الأنـــام وتُبْكـــرُ

وخارجىّ آخر يملّ الحياة التى طالت متشوقاً للجنةِ التى سيلقى فيهـــا من سبقوه من شهداء الخوارج . يقول :

يا نفسُ من طول الحياة ملّـــى
وعيشـــك المنقطـــع المـــولّى
علّـــىَ ألقـــى عاصـــماً لَعَلّـــى
فـــى جنّـــةٍ عاليـــةٍ وظـــلٍّ
وبيهســـاً وكَهمْـــسَ المُصـــلّى

والأعجب من هذا أن فكرة السأم من الحياة والتهافت علـــى حيـــاض الموت لم تكن سمة لرجالهم فقط ولكنها سمة ظهرت عند نسائهم أيضاً . حتى أذنا نجد أم حكيم صاحبة قطرى بن الفجاءة . تســـتعجل المـــوت وتســـتجدى الشهادة وترى رأسها عبئاً ثقيلاً فوق جسدها فتتمنى من يريحها من هذا العبء الثقيل الذى يربطها بأسباب حياة فانية لا تريدها . تقول أم حكيم [1] :

---

[1] – شعر الخوارج ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، دار الشروق .

أحمل رأساً قـد سـئمت حملـه
وقـد مللـت دَهْنَـه وغسْـلهُ
ألا فتـى يحمـل عنِّـى ثقلَـه

" وهكذا تستحيل الحياة لديهم ذميمة دنيئة مملة ولا خير فيهـا حتـى ليتتكبها كل منهم زاهداً فيها طالباً الموت حتى يلتقى بالله وبإخوانه فى الجنان [1] " حتى أن أمّ حكيم المشهود لها بالحسن والجمال ترى أن كمـال الحسـن ألاّ يمتهن هذا الجسم الجميل . بل يقدّم قرباناً لله غير ممتهن . قالت وقد خطبهـا جماعة من أشراف الخوارج فردتهم [2] :

ألا إن وجهـاً حَسَّـنَ اللهُ خَلقَـهُ
لأجْدَرُ أن يُلفى به الحُسْنُ جامعـاً
وأُكرِمُ هذا الجِرْمَ عـن أن ينالَـه
تـوَرُّكُ فحـلٍ هَمُّـهُ أن يُجامِعـاَ

وترك الدنيا والاندفاع نحو الآخرة لم يقتصر على أم حكيم فقـط بـل تتعدد النماذج فى نساء الخوارج فيجرى الشعر على ألسـنتهن معبـراً عـن رغبتهن . فهذه مريم الجعيداء زوجة أبى حمزة الشارى . الذى قام بمعركـة قديد بالقرب من المدينة والتى قتل فيها خلق كثير تقول مريم : [3]

أنـا الجعيـداء وبنـت الأعلـم
من سال عن اسمى فاسمى مريم
بعتُ سـوارى بسـيف مخْـذَم

---

[1] – الفرق الإسلامية : د. نعمان القاضى ، ص ٤٤٠ .
[2] – شعر الخوارج ، ص ١٤٢ : والجرم : الجسم ، تورّك : كناية عن الجماع .
[3] – شعر الخوارج ، ص ٢٤٥ ، دار الشروق .

فالجعيداء باعت كل ما يربطها بالدنيا واستبدلته بكل ما يربطها بالآخرة فتدفع فى المعركة بجانب زوجها ، فيقتلان معاً على مشارف مكة [1] .

نموذج آخر لامرأة تهجر زوجها وتترك بيتها مرتميةً بين أحضان الخوارج مفضلة الحياة تحت صليل السيوف على حياة هادئة ناعمة ضاربة باستغاثات زوجها عرض الحائط طالبة منه أن يستبدلها بامرأة أخرى . فعندما نجد مجاشع البكرى يحترق أسى ولوعة لفراق زوجته عميرة فيقول :

وجداً يصاحبنى لعلَّ صبابةً
منها تردُّ خليلةً لخليلِ
فلئن قتلتِ ليقتلن قتيلكم
فتيقنى أنىَّ قتيلُ قتيلِ

نجد عميرة لا تعبأ بأساه ولوعته ، راغبة فى سعادة تراها بين أسنة الرماح . تقول :

أبلغ مجاشع إن رجعت فإننى
بين الأسنةِ والسيوفِ مقيلى
أرجو السعادة لا أحدث ساعة
نفسى إذا ناجيتها بقفولِ
ووهبت خدرى والفراشَ لكاعبٍ
فى الحىِّ ذات دمالج وحجول

---

[1] – الفرق الإسلامية ، ص ٤٣٢ .

وهكذا نجد أن المرأة الخارجية لم تكن شاعرة فقط تكتفـــى بـــالتعبير والتسجيل ، بل هى نفسها الشاعرة والمقاتلة فى نفس الوقت ، بل والمجاهـــدة ولكن ضد من ؟ ضد جموع المسلمين لتشترك مع غيرها مـــن الرجـــال فـــى ترويع المسلمين وتمزيق وحدتهم ، مؤمنة بمبادئ تتسم بطابع الغلو بعيدة عن روح الاعتدال .

" فإذا انتقلنا **إلى موضوع (الرثاء)** وجدنا أن هـــذا الغـــرض يشـــغل معظم شعر الشواعر الخارجيات كما أسلفنا حتى أنه يمكن القـــول أن كثـــرة الرثاء فى شعر الخوارج عموماً والنساء خصوصاً كان نتيجة طبيعية لحياتهم التى كانت سلسلة متصلة من المعارك و الحروب فكثر القتل فيهم بسبب ذلـــك وكذلك لقلة عددهم " [1] .

فإذا أردنا أن نوضح اتجاهات الرثاء عند المرأة الخارجية وجدناه يأخذ عدة اتجاهات منها :

١- **رثاء المَثَل عندهم :** ويتمثل هذا فى أبى بلال مرداس بن أديّة. هـــذا الرجل استمد مثاليته من ورعه وتقواه وعقله ، ومن بطولته وفروســـيته حيث استطاع أن يقود مجموعة مكونة من أربعين رجلاً وينتصر بها على جيش مكون من ألفى رجل مقاتل . كما يستمد مثاليته أيضاً مـــن موتتـــه التى ماتها ، حيث هجم عليه هو وزملائه جيش زياد فقتلوهم جميعاً أثناء صلاة الجمعة . ومثلوا بمرداس ، فأثار مقتله على هذا النحو الفظيع مـــن الغدر حفيظة الخوارج ودفعهم إلى الاستماتة فى الجهاد .

---

[1] – الخوارج : د. نايف معروف ، ص ٢٦٦ .

ومن هنا صار مرداس رمزاً رائعاً ومثلاً يحتذى عند جميع الخوارج رجالاً ونساءً . فإذا ما وجدنا عمران بن حطان يتوجه بالرثـاء لأبـى بـلال متمنياً أن يموت كما مات لأنّه يرى فيه المثل حيث يقول : [1]

لقـد زاد الحيـاة إلـيّ بغضـاً
وحُبّـاً للخـروج أبـو بـلالِ
دعـروةُ بعـده سـقياً ورعيـاً
لعـروة ذى الفضـائل والمعـالى
أحاذر أن أمـوت علـى فراشـى
وأرجو الموت تحت ذرى العوالى
ولو أنـى علمـت بـأن حتفـى
كحتـفِ أبـى بـلالٍ لـم أبـالِ
فمـن يـكُ همّـه الـدنيا فـإنى
لهـا والله ربّ البيـت قـالى

فنجد أم الجراح العدوية تؤمن بنفس المثل فتراه فى أبى بلال مرداس بن أدّية وأخيه عروة بن أديّة الذى قتل أيضاً فتتوجه بالحديث إلى زياد بن أبيه منذرة متوعدة فتقول [2] :

وما بعد مـرداسٍ وعـروةَ بيننـا
وبيـنكم سـوى عطـر مَنْشِـمِ
فلستَ بناجٍ من يـد الله بعـد مـا
هرقت دمـاء المسـلمين بـلا دمِ

---

[1] – شعر الخوارج ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .
[2] – شعر الخوارج ، ص ٦٧ .

كما نجد امرأة أخرى من بنى سليط تتوجه بالسقيا لمرداس أصحابه الشراة الذين قدّموا أنفسهم هدية إلى الله عند التقاء الجيوش تقول : " [1]

سقى الله مرداساً وأصحابه الألى
شروا معه غياثاً كثير الزماجر
فكلهم قد جاد لله مخلصاً
بمهجته عند التقاء العساكرِ

٢- أما الاتجاه الثانى فى رثاء الشواعر الخارجيات فيتمثل فى **إظهار الفرح والسرور لأن القتيل نال الشهادة التى كان يتمناها وعمل من أجلها** حيث يعتقد الخوارج أن جميع مخالفهيم من المسلمين كفارٌ فإذا ما قتل أحدهم على يد هؤلاء الكفرة فى زعمهم فهو فى الجنة التى كان يتمناها . ولهذا إذا كنا نرى المرأة – أى امرأة – ترتاع ويصبح فؤادها فارغاً إذا مات لها ابن، فالوضع هنا يختلف مع هذه المرأة . فعمرة أم عمران الراسبى قد وجدت فى مقتل ولدها وفلذة كبدها ، استجابةً لدعوته التى طالما رددها فى سرّه وعلانيته ليرزق القتل بأيدى ملاحدة غدرٍ . تقول عميرة وهى ترثى ابنها وقد قتل مع نافع بن الأزرق يوم دولاب . حيث ظل يتبادل الضربات مع الحجاج بن باب حتى قتلا معاً [2] :

الله أيّد عمرانا وطهّره
وكان عمرانُ يدعو الله فى السَّحرِ
يدعوه سرًا وإعلانا ليرزقه
شهادة بيد ملحادةٍ غُدُرِ

[1] – شعر الخوارج ، ص ٦٧ .
[2] – شعر الخوارج ، ص ٨٥ ، ٨٦ ، دار الشروق .

ولىّ صحابته عـن حـرٍّ ملحمـةٍ
وشدَّ عمرانُ كالضرغامةِ الهُصـرِ
أعنى ابن عمرة إذ لاقـى منيتـه
يوم ابن باب يحامى عَوْرَةَ الـدبرِ

وهذه امرأة أخرى من الخوارج قُتل أبوها وأخوها وزوجهـا وأمهـا وعمها وخالتها مع الضحاك بن قيس الشيبانى الحرورى إلاّ أنها كانـت أشـد إيماناً بقضية الخوارج وترى أنهم لم يتخذوا هذا الموقف ولم يعّرضوا أنفسهم للشهادة إلاّ إحياءً للدين الذى مات وللسنة التى انتهت . ومن هنا فبرغم حزنها الشديد على قتلاها وهم كُثرٌ إلاّ أنها ترى أنهم لم يغبنوا بالموت ، لأنهم ماتوا صابرين عند التقاء السيوف ، ولم يجبنوا ولم يهربوا فى سبيل مرضاة الله فى زعمها فلهذا كان الاستشهاد منةً من منن الله عليهم تقول [1] :

مَـــن لقلـــبٍ شـــفّه الحَـــزَنُ
أو لـــنفسٍ مـــا لهـــا ســـكنُ
ظعـــن الأبـــرارُ فـــارتحلوا
خيـــرهم مـــن معشـــرٍ ظعنـــوا
معشـــرٌ قضـــوا نُحـــوبهم
كـــلُّ مـــا قـــد قـــدّموا حســـنُ
صـــبروا عنـــد الســـيوف فلـــم
ينكلـــوا عنهـــا ولا جَبُنـــوا

[1] – شعر الخوارج ، ص ٢٣٧ ، دار الشروق .

فتيـــــةٌ بـــــاعوا نفوســـــهم
لا وربِّ البيـــت مـــا غبنـــوا
ابتغـــوا مرضـــــاة ربِّهـــم
حـــين مـــات الـــدين والســـننُ
فأصـــاب القـــوم مـــا طلبـــوا
منّـــةٌ مـــا مثلهـــا مـــننُ

٣- وهناك تيار ثالث فى الرثاء يتمثل فى أن حزن المرأة الخارجيـة علـى ذويها لم يمنعها **من تمنى الأخذ بالثأر له** ، أو محاولة المرأة أن تأخـذ الثأر بنفسها . فنجد عند المرأة الخارجية إرادة صلبة ، وإصراراً لا يلين أمام العدو ، فهى لا تعترف بالهزيمة أبدا ففيها أنفة وعزّة وكبرياء وثبات على الموقف .

فهذه أخت الحازوق الحنفى أحد ولاة نجدة ترثى أخاها الذى قُتل على يد بعض أعدائه ، تنعى فيه فروسيته وتأسى للطريقة التى مـات بهـا حيـث حُوصر بين جبال الطائف وقُتل رمياً بالحجارة وهو يقول : " أتقتلوننى قتـل الزناة ؟ ليبارزنى منكم من شاء " ، فكانت تتمنى أن يقابل أعداءه فـى أرض فسيحة حتى يستطيع أن يصول ويجول مثبتاً لفروسيةٍ يتميز بها ، ولكم نجـد من الإصرار والعزيمة عند هذه المرأة ؛ فإن الأمر عندها لم ينته بقتل أخيهـا الحازوق . ولكن ترى أن فى الصف فرساناً آخرين يسـتطيعون أن يأخـذوا بثأره أمثال : حوشب وأبى جسر ، تقول أخت الحازوق الحنفى [١] :

---

[١] - شعر الخوارج ، ص ٨٩ ، دار الشروق .

أعينيَّ جودا بالدموع على الصدرِ
على الفارس المقتول فى الجبل الوعرِ
فإن تقتلوا الحازوق وابن مطـرّف
فـإنّ لـديـنا حوشـباً وأبـا جسـرِ
أقلب عينى فى الركاب فـلا أرى
حزاقاً وعينى كالحجاة مـن القطـر
ومن يَعْتَم العامَ الوشـيك ولاحقـاً
وقتل حزاقٍ لا يزال عـالىَ الـذكْرِ
تعـاوره أسـياف قـوم تعـوّدوا
قراعَ الكماة لا خنـوسٍ ولا ضُـجْرِ
فيـالهفتى ألا تكـونَ لقيـتهم
بصحراء لا ضَيْق المكرِّ ولا وَعْـرِ
فلو كان لى ملك اليمامة سَـوّمت
فوارسُ يسبونَ العذارىَّ مـن شُـكْرِ
ولو كان لى ملك اليمامة قد غزت
قبائـلَ دوسٍ كـلُّ قنبلـةٍ شُـقْرِ
فإن لا أنل من دوس ثأرى بفتيـةٍ
مصاليت لم يكسرهم حَـدَثُ الـدّهْرِ
فإنّ قريشاً كـان مقتـلُ حـازقٍ
بأيديهم فاطلب بـه قـاطن الجحْـرِ
ففى قتلهم مثل الذى نال من حظى
بقتل حزاقٍ فى العلاءِ وفـى الـذكْرِ

وربما يظهر هذا التيار أكثر عند الفارعة بنت طريف الشاعرة العباسية الوحيدة من بين شواعر الخوارج حيث قتل يزيد بن مزيد أخاها الوليد بن طريف قائد الخوارج فى عهد الخليفة هارون الرشيد .

فنجد الفارعة بنت طريف ترثى أخاها الوليد بن طريف ، ولأنها كانت فارسة ركبت الفرس وحملت السلاح وتقدمت الجيوش لتأخذ بثأر أخيها ، فقد جاءت نغمة التحسر والحزن أضعف عندها منها عند أخت الحازوق ، ولكن الأنفة والكبرياء عندها أقوى . حتى ظننا أنها حولت رثاءها لأخيها إلى مديح. فهى كما يقول د. نايف معروف : " وكثيراً ما يتخذ الشاعر الخارجى الرثاء وسيلة لمدح الميت فيصب عليه المزايا المألوفة فى المدح ، فهو كالليث فى عرينه ، وكالبدر بين كواكبه ، وكالإبل فى صبره ، وهو كالسيف الذى تنبو لهيبته سيوف الأعداء ، وغير ذلك من الصفات الممدوحة فى الرجال حينذاك"[1].

فالفارعة ترى أن الأرض لم تتضمن جثة الوليد بن طريف لأن الوليد أعز من أن تحوى جثته الأرض ، فبطبيعة الحال لا يكون الوليد إلاّ فى السماء، لأن هذا ما يتناسب مع شخصه وكذلك السيوف التى قُتل بها لو عقلت لهابته . وخافت من مواجهته وتحولت إلى حد غير قاطع . تقول [2] :

ذكـــرت الوليـــد وأيّامـــه
إذ الأرض مـــن شخصـــه بلقـــعُ
فأقبلـــت أطلبـــه فـــى الســـما
ء كمـــا يبتغـــى أنْفُـــهُ الأجْـــدَعُ

[1] – الخوارج فى العصر الأموى ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

[2] – معجم النساء الشاعرات:عبد الأمير مهنا،ص ٢٣٣، ضحى الإسلام ، جـ٣ / ٣٤٧.

أضـــاعك قومُـــك فليطلبـــوا
إفـــادة مثـــل الـــذى ضـــيّعوا
لـــو أن الســـيوف التـــى حَـــدُّها
تصـــيبك تعلـــمُ مـــا تصـــنعُ
نبـــت عنـــك إذ جُعلـــت هيبـــةً
وخوفـــاً لصـــولك لا تقطـــعُ

ثم تنتقل الفارعة بنت طريف فى قصيدتها الطويلة التى تمثل أطـول قصيدة عند شواعر الخوارج إلى تأبين أخيها وذكر مآثره ، فتتحدث عنه فـى كبرياء واضح يتناسب مع منزلة الوليد . فقبر الوليد ليس قبراً عادياً بل هـو بمثابة جبل عال فوق الجبال ، لأنّه لم يحتوِ على رجلٍ عادى ، ولكنه تضمَّن رجلا اتسم بكل صفات المروءة مثل : الجود ، الشجاعة ، وحصافة الـرأى ، تقول :

بتـــلّ تباثـــاً رســـمُ قبـــر كأنّـــه
على جبل فـــوق الجبـــال منيـــف
تضـــمَّن جـــوداً حاتميًـــا ونـــائلا
وســـورة مقـــدامٍ ورأى حصـــيفِ

ثم تقول : مستنكرة على الأرض كيف جرأت أن تتضمن فتىً هو رمزٌ للمعروف مع علمها أن هذا الشخص ليس شخصاً عادياً فهو ليس ضـعيفاً ولا ابن ضعيف ، ثم تذهب إلى أنها لن تتحرك من مكانها حتـى تسـمع جوابـا واضحاً . تقول :

ألا قاتل الله الجُبْنَ كيف أضمرت
فتى كان للمعروف غيـر عيـوفِ
وقد علمت أن لا ضعيفاً تضـمنت
إذا عظمُ المرزى ولا ابن ضعيف
فإن لم تجبنى دمنـةُ هـى دونـه
فقد طال تسليمى وطـال وقـوفى

ثم تنتقل متحدثة عن مآثره مستخدمة الفعل المضارع فى أكثـر مـن موضع للدلالة على أن مآثره ما زالت حيّة ، فتصفه بالتقوى والكـرم وحـب القتال وكثرة صولاته وجولاته فى المعارك حتى كاد أن يزهق روح المـوت نفسه . تقول :

فتى لا يلوم السيف حتـى يهـزه
على ما اختلى من معصم وصليفِ
فتى لا يحب الزاد إلاّ من التقـى
ولا المال إلاّ مـن قنـا وسـيوفِ
ولا الذخر إلاّ كل جرداء صَـلْدَمٍ
معـاداةٍ للكـرّ بـين صـفوفِ
ولا الخيل إلاّ كلّ جـرداء شـطبةٍ
وأجود عالى المنسـجين عَـروفِ

حليف الندى إن عاش يرضى به الندى
وإن مات لا يرضى الندى بحليفِ
وما زال حتى أزهق المــوتَ نفسَــه
شــجاً لعــدوٍ أو لجــأ لضــعيفِ

ثم تتجه إلى تهديد يزيد بن مزيد ، فتذهب إلى أنه لن يزيل أثر مــوت الوليد إلاّ معركةَ كالتى قتل فيها وهى دعوة للأخذ بالثأر تقول :

فــإن يــك أرداه يزيــد بــن مزيــد
فَرُبَّ زحــوفٍ فضــها بزحــوفِ

ثم يظهر عندها الإحساس بالفقد فتصفه بأنه كان ربيع العمــر ، فــإن ذهب من الدنيا فلا ربيع ، وتتعجب كيف لشجر الخابور أن يورق كأنــه لــم يحزن ويجزع على غياب ربيعه . تقول :

فقــدناه فقــدان الربيــع فليتنــا
فــديناه مــن فتياننــا بــألوفِ
فيا شــجر الخــابور مالــك مورقــاً
كأنّك لم تجزع على ابن طريــف

ثم بدأت تنعى حظ قومها من توقع تكالب النوائب والمصائب علــيهم بالذات بعد أن غاب من ليلهم بدره ، ومن نهارهم شمسه . وتوجّه أسدُهم فوق نعشه إلى مثواه الأخير تقول :

ألا يـــا لقـــومى للحمـــام وللبلـــى
وللأرض هَمَّـتْ بعـده برجُـوفِ
ألا يـــا لقـــومى للنوائـــب والـــرّدى
ودَهْـــرٍ مُلـــحٍّ بـــالكرام عنيـــفِ
وللبدر من بين الكواكـب إنْ هـوى
وللشمس هَمَّـتْ بعـده بكُسـوفِ
ولليـث فـوق الـنعشِ إذ يحملونـه
إلـى حفـرةٍ ملحـودةٍ وسـقوفِ

ثم بدأت تسترجع يوم وفاته ، وكيف بكت عليه القبيلة وكيف خرجـت النساء سافرات جزعاً وحزناً عليه يندبن فيه مآثره المعهودة . تقول :

بكـت تغلـب الغلبـاءُ يـوم وفاتـه
وأبرز منهـا كـل ذات نصـيفِ
يَقُلن وقـد أبـرزن بعـدك للـورى
معاند حَلْيٍ مـن بُـرى وشـنوفِ
كأنّك لم تشـهد مصـاعاً ولـم تقـم
مقاماً من الأعـداء غيـر خفيـفِ
ولم تشـتمل يـوم الـوغى بكتيبـةٍ
ولم تبدُ فى خضراء ذات رفيـفِ
ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقـح
وسـمر القنـا ينكزنهـا بـأنوفِ

وفى نهاية القصيدة تلقى السلام على قبره مؤمنة أن الموت لا يتخيـرّ من الناس إلاّ الشرفاء :

عليـــه ســـلام الله وقفـــاً فـــإننى
أرى الموت وقاعاً بكـلّ شـريفِ

٤- ثم يظهر تيار أخير فى الرثاء عند شـواعر الخـوارج **يتميز بالتفجع والحسرة** . فإذا كان الدكتور نايف معروف يقول : " وخلاصة القول فى رثاء الخوارج أنّه جاء خالياً من التفجّع الحاد ومن أنّة الحزن الدائمة فلا تفتت أكباد ، ولا وهن عند الفجيعة ، لأن ما صار إليه شهداؤهم كان خير عزاء لهم ، كما جاء بعيداً عن نزعة القنوط أو اليـأس المريـر " [١] . أو يقول : " ومما تجدر الإشارة إليه أن مراثى النساء لذويهم جاءت أيضـاً فى أكثرها خلوا من التفجع وأنّة الحزن الحادة لدرجة يصعب معها تمييز رثاء شواعر الخوارج من رثاء شعرائهم " [٢] . فمليكة الشيبانية تـدحض هذا الكلام حيث تشتد حرارة الرثاء عندها لتبلغ الذروة فتقدم لنا ملحمـة رثائية فى موت أخيها الضحاك بن قيس وعمها مما يجعلنا نقتـرب مـن عالم الخنساء فى رثاء أخيها صخر . وكأنّها تحقق كلام ابن رشيق فـى العمدة " وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجُّعُ بـيّن الحسـرة ، مخلـوط التلهف والأسف والاستعظام ، إذا كان الميت ملكا أو رئيسا كبيراً " [٣] .

---

[١] – الخوارج فى العصر الأموى ، ص ٢٧١ .
[٢] – الخوارج فى العصر الأموى ، ص ٢٦٨ .
[٣] – العمدة ، ص ٣٥٨ .

وهذا ما وجدناه عند مليكة لأن أخاها كان أميراً لفرقة من الخوارج فى أواخر الدولة الأموية ، فبكت عليه أحرّ البكاء ، فارتفعت بشعر الرثاء حتى جعلته أجود أشعار شواعر الخوارج . فكأنها تبرهن على كلام ذلك الأعرابى حينما سُئل " ما بالُ المراثى أجود أشعاركم ؟ ، قال : لأنا نقول وأكبادنا تحترق " [1] .

فكأن كبد مليكة يحترق أمامنا وهى ترثى أخاها وعمّها حتى وجد من يقول عنها : " ما رأيت أشد كمداً من امرأة من بنى شيبان قتل ابنها وأبوها وزوجها وأمها وعمتها وخالتها مع الضحاك الحرورى ؛ فما رأيتها قط ضاحكة ولا مبتسمة حتى فارقت الدنيا[2].

أو إذا كان " الندب هو النواح والبكاء على الميت بالعبارات المشجية والألفاظ المحزنة التى تصدع القلوب القاسية وتذيب العيون الجامدة ، إذ يولول النائحون والباكون ويصيحون ويُعْوِلون مسرفين فى النحيب والنشيج وسكب الدموع " [3] . فنجد مليكة تتمزق أسى وحسرة ، وقلبها يعتصر مرارة ويحترق لمقتل أخيها حتى وإن أشارت إلى مآثره ، فهى تشير بطريقة آثرة . تقول نادبة أخاها متحسرة عليه بصوت عالى الرنين [4] .

قولى مُليكُ عليك بالصبر
تستوجبين فضائلَ الأجرِ
قولى فإنّك غير كاذبة
يا عدّتى لنوائب الدهرِ
أورثتنى كمدا يؤرقنى
وتلهفاً وحرارةَ الصدرِ

[1] – البيان والتبيين ، جـ٢ ، ص ٣٢٠ .

٢– أخبار النساء فى العقد الفريد ، جمع : عبد مهنا وسمير جاد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١٤١٠ – ١٩٩٠م .

[3] – الرثاء : د. شوقى ضيف ، ص ١٢ .

[4] – شعر الخوارج ، ص ٢٣٨ ، دار الشروق .

ومـــرارة فـــى العـــيش دائمـــة
وحـــرارة كحـــرارة الجمـــرِ
ذهـــب الـــذى قـــد كـــان يأمرنـــا
بـــالخوف والمعـــروف والـــذكرِ

ثم تستدر عينها البكاء حيث جمدت من كثرة الحزن ، مشركة معها فى عويلها ونحيبها جميع النساء الشاريات اللاتى اشتركن معه فى الحرب ، حيث موته سيؤثر فى الجميع تقول [1] :

يـــا عـــين جـــودى بالـــدموع
بواكـــف حتـــى الممـــاتْ
قـــولا لمـــن حضـــر الحـــروب
مـــن النســـاء الشـــارياتْ
أمســـين بعـــد غضـــارةٍ
ونعـــيم عـــيشٍ مثبتـــاتْ
مـــن بعـــد عـــيش نـــاعم
صـــارت عظـــامهمُ رفـــاتْ
وإذا المنيّـــــةُ أقبلـــــتَ
لـــم تغْـــنِ أقـــوالُ الرثـــاةْ
كنـــت المؤمـــلَ والمرجـــىَ
فـــى الأمـــور المعضـــلاتْ
كنـــت المـــؤامر والمـــؤازر
والمطالـــب للتـــرات

[1] – شعر الخوارج ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، الشروق .

ثم تتحدث عن جلل المصيبة وعظم الفجيعة ، معددة بعض المـآثر ، تقول فى أبيات ملأتها دموعاً وبكاءً ، تسأل وتجيب : [1]

مـــا بـــال دمعـــك دائـــم الســـجم
مثل الجمان وَهَـــى مـــن الـــنظمِ
جلَّـــت مصـــيبتنا وقـــد عظمـــت
لمّـــا فجعـــت بســـيدٍ ضـــخمِ
حلـــوِ الشـــمائل حـــين تخبـــره
حَسَـــنِ المســـريرة ماجـــدِ شـــهمِ
يصـــل القرابـــة والجـــوار إذا
قطـــع القرابـــة صـــاحب الظلـــمِ
فلأبكينـــك كلمـــا وخـــدت
عِـــيس بأرجلهـــا علـــى رســـم
ولأبكينـــك عنـــد مجتمـــع الـــ
أمـــلاء عنـــد تطـــاول الخصـــم

ولم تكتف مليكة برثاء الأخ فقط ، فالمصيبة عنـد الخـوارج دائمـاً مضاعفة لا تقتصر على فقد عزيز واحد ، ولكن لكثرة المعـارك والحـروب التى يعيشون فيها ، ونظراً لاستبسالهم فى سبيل قضيتهم نجد أن أمر المـوت عندهم هين ، ولكن تبقى مرارة الفراق وبالذات عند النساء ، لأن موت الرجل فى مجتمع معزول غير آمن شىء غير هيّن . فالمرأة حتما محتاجة للرجـل

[1] – شعر الخوارج ، ص ٢٤١ ، دار الشروق .

تستعين به فى كل شىء ، فما بالنا إذا كان الرجل أميراً أو سيّدا ، فالبكاء عليه يتضاعف لأنه من الصعب أن يسدّ مسده أحد .

ومن هنا وجدنا نغمة الحزن شديدة عند مليكة الشيبانية لا على أخيها فقط الذى فقدته ولكن على عمها أيضاً الذى لا يقلّ بطولة ومروءةً عن أخيها . فنجدها تبكى بكاءً مريراً حاراً على عمها . ولا تكتفى ببكائها وحدها ولكن تطلب البكاء من نساء ورجال الخوارج نظراً لأن المصيبة تعم الجميع . فتقول بعد أن خرجت سافرة حاسرة الرأس والهة على موت عمها متمنيةً أن لو كانت تملك ما تدفع به الموت عن عمها ، ثم تعدد بعض مآثره [1] :

ما بال دمعك يا مُليكة جارِ
أم ما لقلبك لا يقر قرارِ
أم ما لنفسك ليس يسكن حزنها
ليلا وليس نهارها بنهارِ
جزعاً على من كان يجمع شملنا
ونعده لنوائب وعثارِ
لو كنتُ أملك دفع ذلك لم تكن
يا عم بين نضائدٍ وغبارِ
ألقيتُ جلبابى لعظم رزيتى
وبرزت سافرةً بغير خمارِ
زرت المقابر كى أسلى عبرتى
هيهات ممن زرتُ بُعْد مزارِ

---

[1] – شعر الخوارج ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

فلتبـــك نســـوانُ الشـــراة بعبـــرةٍ
عند الحروب وكـل كهـلٍ شـارِ
وليبكـــه المـــولى وطالـــبُ حاجـــة
عند العشاء ، وكل ضـيف طـارِ
أيـــن الـــذين إذا ذكـــرت فعـــالهم
عرفـوا بحســن عفافـةٍ ووقـارِ
أيـــن الـــذين إذا أتـــاهم ســـائلٌ
بـــذلوا لـــه أمـــوالهم بيســـارِ
أيـــن الـــذين إذا ذكرنـــا دينـــهم
قالـت عشـائرهم هُـمُ أخيـارى

ثم نجدها تندبه وتتحسر عليه في مقطوعة أخرى ، تندب فيـه أمـره بالمعروف ومؤازرته لكل صاحب حاجة ، تندب فيه فضيلته وبصيرته ، تندب لسانه الذى كان يدافع به عن عشيرته عند اجتماع العشائر . تقول [1] :

أصـــبرتُ عـــن عمـــى الـــذى
قـــد كـــان بـــالمعروف آمـــرْ
أصـــبرت عـــن عمـــى الـــذ
كـــان المـــؤامر والمـــؤازر
إخوانـــــه النفـــــر الشـــــرا
ة ذوو الفضـــــيلة والبصـــــائرْ

[1] – شعر الخوارج ، ص ٢٣٩ ، دار الشروق .

يـــا عـــمّ كنـــت لســـان قـــو
مـــك حـــين يجتمـــع المعاشـــرْ
فلأبكينّـــــــــــك بالغـــــــــدا
ة وبالأصـــــــائل والهـــــواجرْ
ولـــــئن بكيـــــت لقـــــد رزئـــــت
بفـــــارس بطـــــلٍ مغـــــاورْ

وإذا كانت مليكة الشيبانية قد فقدت أخاها وعمها فهناك من فقدت أكثر من ذلك . فهذه امرأة خارجية تدفع بأبنائها الأربعة للقتال وهم فى بداية شبابهم فيقتلون جميعاً – والأبناء فلذات الأكباد – فتتحسّر عليهم وتتعهـد أن تبكـيهم الدهر كله . فتقضى ما بقى من عمرها بين حزن وإعوال وكمد كما تقول [1] :

نجلـــتهم كســـيوف الهنـــد أربعـــة
بيضاً مصاليت فى الهيجاء كالأسدِ
حتى إذا أكملوا فى السـنّ واتسـقوا
أخنى على القوم ما أخنى على لبدِ
لهفى علـيهم فـإنى مـن تـذكّرهم
طويلة الحزن والإعـوال والكمـد
لا أفتـــأ الـــدهر أبكـــيهم بأربعـــةٍ
ما اجترّتَ العيسُ أو حنّت إلى ولَدِ

[1] – شعر الخوارج ، ص ٢٥٩ ، دار الشروق .

وإذا كان الموت يمثل مصيبة كبرى ورزيّة عظمى للإنسان . مهما أظهر الصبر والتجلّد فطبيعى أن يحاول دفعه بشتى الوسائل حتى لو وصل الأمر لدرجة **الاستعطاف والاستشفاع** . ولكم يظهر الشعر أخاذاً قويّا لو ركب هذا الأمر ؛ لأن تاثيره يكون فى النفس قوياً . وكثيراً ما أعتق الاستشفاع رقاباً من الموت ، أو أغدق على أصحابه أموالاً ومناصب . يقول ابن رشيق : " وما زالت الشعراء قديماً تشفع عند الملوك والأمراء لأبنائها وذوى قرابتها فيشفعون بشفاعتهم وينالون الرتب بهم [1] " .

ويقول الجاحظ : " ومن قدر الشِّعر وموقفه فى النفع والضَّر أن ليلى بنت النضر بن الحارث بن كَلَدة ، لما عرضت للنبى ﷺ وهو يطوف بالبيت واستوقفته وجذبت رداءه ، انكشف منكبه ، وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها . وقال رسول الله ﷺ لو كُنت سمعت شعرها هذا ما قتلته [2] " .

والجاحظ يشير إلى قولها : [3]

يا راكباً إن الأثيل مظنَّةٌ
من صبح خامسةٍ وأنت موفق
أبلغ به ميتاً بأن قصيدة
ما إن تزال بها الركائب تخفق

---

[1] – العمدة ، ص ٤٤ .

[2] – البيان والتبيين ، جـ٤ / ٤٤ . ويقول الجاحظ أنها ليلى ، وفى زهر الآداب والعمدة أنها قتيلة بنت الحارث ، ولكن الجاحظ يتفق مع العمدة فى أنها ابنته ، أما زهر الآداب فيرى أنها أخته ، انظر العمدة / ٤٣ وزهر الآداب ، جـ١ / ٦٦ .

[3] – العمدة ، ص ٤٣ ، زهر الآداب ، جـ١ / ٦٦ .

منـــيَّ إليـــه وعبـــرة مســـفوحةٌ
جادت لمانحهـا وأخـرى تخنـقُ

فليســـمعنّ النضـــر إن ناديتـــه
أم كيف يسـمع ميـتٌ لا ينطـقُ

ظلـت سـيوف بنـى أبيـه تنوشـه
لله أرحـــام هنـــاك تشـــقّقُ

قسـراً يقـاد إلـى المنيـة متعبـا
رَسَفَ المقيّد وهـو عـان موثـق

أمحمـدٌ هـا أنـت نجـل نجيبـة
من قومها والفحلُ فحـل مُعْـرقُ

ما كان ضَـرك لـو مننـت وربمـا
مَنَّ الفتى وهو المغـيظ المحنـقُ

والنضرُ أقـرب مـن قتلـت وسـيلة
وأحقهـم إن كـان عتـق يعتـقُ

فقال النبى ﷺ لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته .. أو كما جاء فـى زهر الآداب : " فذكر أن رسول الله ﷺ رقَّ لها ودمعت عيناه وقال لأبى بكر: لو كنت سمعت شعرها ما قتلته [1] " فنجد من أثر الاستشفاع أن الرسول الكريم يرق قلبه وتدمع عيناه ويقول لو أن هذا الشعر سمعه قبل مقتله لعفا عنه .

كما نجد الاستعطاف يخرج الحطيئة من سـجن الخليفـة عمـر بـن الخطاب – رضى الله عنه – بعد أن استعطفه الحطيئة ببناته الصغار ، وكان

[1] – زهر الآداب ، جـ١ / ٦٦ ، العمدة ، ص ٤٣ .

الحطيئة فى حبس عمر بن الخطاب رحمه الله – باستعداء الزّبرقان عليه فـى هذه القصة . ولعمر يقول الحطيئة [1] :

مـــاذا تقـــول لأفـــراخ بـــذى مـــرح
خُمْرِ الحواصل لا ماءٌ ولا شـــجرُ
ألقيت كاسِـــبَهم فـــى قعـــر مُظْلمـــةٍ
فاغفر – عليك سلام الله – يا عمرُ
أنت الإمام الذى مـــن بَعْـــدِ صـــاحبه
ألقى إليك مقاليـــدَ النُّهـــى البشـــرُ
مـــا آثـــروك بهـــا إذ قـــدموك لهـــا
لكن بِكَ استأثروا إذ كانت الأثـــرُ

والخوارج برغم استبسالهم فى المعارك وعدم الخوف من القتل إلاّ أننا نجدهم يضعفون أمام الموت فـــى بعـــض الأوقـــات ، فنجـــدهم يستشـــفعون ويستعطفون فى سبيل الإبقاء على حياتهم ، ومن الأمثلة على ذلك ما يرويـــه التنوخى يقول : " حدّث أحمد بن أبى داود القاضى قال : مـــا رأيـــت رجـــلا عرض على الموت فلم يكترث به ولا شغله عما أراده حتى بلغه وخلصـــه الله من القتل إلاّ تميم بن جميل السدوسى الخارجى ، وكان قد خرج على المعتصم ورأيته قد جيء به أسيراً ، فأُدخل عليه فى يوم موكب ، وقد جلس المعتصـــم للناس مجلساً عاماً . ودعا بالسيف والنطع ، فلمّا مثـــل بـــين يديـــه ، نظـــره المعتصم فأعجبه حسنه وقدّه ومشيته إلى الموت غير مكترث به ، فأطال الفكر فيه ، ثم استنطقه لينظر أين عقله ولسانه من جماله ، فقال : يا تميم إن كـــان

[1] – الكامل للمبرد ، جـ٢ / ٧٢٥ .

لك عذر فأت به . فقال : أما إذ أذن أمير المؤمنين فى الكلام فـإنى أقـول : " الحمد لله الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعـل نسله من سلالة من ماء مهين . يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الـدين ، ولَمَّ بك شعث الإسلام والمسلمين ، وأخمد بك شهاب الباطل ، وأنار بك سبيل الحق، إن الذنوبَ يا أمير المؤمنين تخرس الألسنة ، وتصدع الأفئدة ، وأيم الله لقد عظمت الجريرة ، وانقطعت الحجة ، وساء الظن ، ولم يبـق إلاّ عفـوك وانتقامك ، وأنت إلى العفو أقرب ، وهو بك أشبه وأليق ثم أنشده :

أرى الموتَ بين السيف والنطع كامناً
يلاحظنى مـن حيـث لا أتلفـتُ
وأكبـر ظنّـى أنّـك اليـوم قـاتلى
وأى امرئ مما قضـى الله يفلـتُ
وأى امـرئ يـدلى بعـذرٍ وحجـةٍ
وسيف المنايا بين عينيه مُصْـلَتُ
يعزُّ على الأوس بن ثعلـب موقـفٌ
يُسَلُّ علىّ السـيف فيـه وأسـكتُ
وما جزعى مـن أن أمـوت وإننـى
لأعلم أن المـوت شـىءٌ مُؤَقـتُ
ولكـنَّ خلفـى صـبية قـد تـركتهم
وأكبـادهم مـن حسـرةٍ تتفتّـتُ
كـأنىّ أراهـم حـين أُنْعَـى إلـيهم
وقد لطموا حُرَّ الخدود وصـوتُوا

فإن عشت عاشـوا سـالمين بغبطـةٍ
أذود الردى عنهم وإن متُّ مُوّتـوا
وكـم قائـل لا يبعـد الله داره
وآخـر جـذلان يُسـر ويَشـمِتُ

قال : فبكى المعتصم ثم قال : إن من البيان لسحراً كما قال رسول الله ﷺ . ثم قال : يا تميم كاد والله يسبق السيف العذل ، وقد وهبتك لله ولصـبيتك وعفوت عن زلّتك ، ثم عقد له ولاية على عمله وخلع عليه ، وأعطاه خمسين ألف دينار " [1] .

ومن هذا رأينا كيف أنقذ الاستعطاف تميم السدوسى الخارجى من الموت بعد أن رأى الموت بين السيف والنطع كما قال : ولـم يتوقـف أثـر الاستعطاف عند هذا الحد فقط بل تخطاه إلى ولاية على عمل وثروة ضـخمة من المال . لأن أثر الاستعطاف عظيم ، ألم نر كيف تحولت مشاعر المعتصم من إعداد للسيف والنطع إلى رقةٍ وبكاء لحال عدوه، ثم يخلع عليه ما أسلفنا!!.

وليس الأمر يخص المعتصم فقط ، بل خصَّ مـن عُرفـت قلـوبهم بالقسوة. فالحجاج بن يوسف الذى يخشاه أى رجل يقف أمامه فهو كمـا قـال رجل فيه [2] .

كـأنّ فـؤادى بـين أظفـار طـائر
من الخوف فى جوّ السماء مُحلِّـقُ
حِذارَ امرئ قـد كنـت أعلـم أنّـه
متى يَعدُ من نفسه الشـرّ يصـدقُ

[1] – المستجاد من فعلات الأجواد ، ص ١١٧ وما بعدها .
[2] – عيون الأخبار لابن قتيبة : المجلد الثانى ، جـ٣ / ١٤٥ .

نجد الحجاج يعفو عن رجل من الخوارج وقد جاءه ليقتل ، فيغيِّر الرجل أقواله ويقول شعرا [1] :

أحجاج إنّى والذى أنا عبده
على دين خير العالمين محمدِ
ودين أبى بكر وصاحبه الذى
مضى عادلا فى حكمه لم يفندِ
ولست لعثمان بن عفان باغضاً
ولا قائلاً فيه مقالة ملحدِ
وإن يك عثمانُ بن عفان ظالما
فربّك للعبد الظّلوم بمرصدِ
وأمّا علىٌّ ذو المعانى فإنّه
وصىُّ نبىّ ذى سناءٍ وسؤددِ
وإن يك مظلوماً [له] الله ناصرٌ
فينصره من كل باغٍ ومعتدِ
وقد كان مولى المؤمنين وإننى
مقرٌّ به فى كل نادٍ ومشهدِ
فذلك دينى لا أدين بغيره
ولست كهذا الكافر المتلدِّدِ

صحيح أن هذا الشعر ليس فيه ما يثير الشفقة والاستعطاف على قائله. ولكن ألسنا نرى أن تغيير الموقف فى هذه الآونة استعطاف يقصد صاحبه من ورائه اتقاء القتل والمحافظة على حياته ؟ أظن ذلك .

---

[1] – شعر الخوارج ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ ، دار الشروق .

وإذا كان للاستعطاف أثر على المستعطَف فله أثـر أيضـاً علـى المستعطِف ، لأنه يوقع من عفا عنه فى أسره فلا يحاربه أو يذمه بعد ذلـك . وهذا ما حدث مع عمران بن حطان الخارجى بعد أن عفا عنه الحجاج . فقـد جاء فى زهر الآداب . "ولمّا ظفر الحجاج بعمران بن حطان الشارى ، قال : اضربوا عنق ابن الفاجرة ، فقال عِمران : لبئسما أدّبك أهلك يا حجاج ! كيف أمنت أن أجيبك بمثل ما لقيتنى به ؟ أبَعْدَ الموت منزلـةٌ أصـانعك عليهـا ؟ فأطرق الحجاج استحياءً وقال : خلُّوا عنه ، فخرج إلى أصـحابه ، فقـالوا : والله ما أطلقك إلاّ الله ، فارجع إلى حربه معنا ، فقال : هيهـات : غـلَّ يـداً مُطْلِقُها ، واسترقَّ رقبةً مُعْتقها وأنشد :

أ أ قاتـل الحجـاج عـن سـلطانه
بيـد تُقـرُّ بأنهـا مولاتـه
إنـىّ إذاً لأخـو الـدناءة والـذى
عَفَـت علـى عرفانِـه جهلاتُـهُ
مـاذا أقـول إذا وقفـت موازيـاً
فى الصّف واحتجت لـه فعلاتـهُ
وتحـدّث الأكفـاءُ أن صـنائعاً
غُرست لـدى فحنظلـت نخلاتـهُ
أ أقـول جـار علـىَّ ؟ إنـى فـيكم
لأحقُّ من جـارت عليـه وُلاتـه
تـالله مـا كـدتُ الأميـر بآلـة
وجوارحـى وسـلاحها آلاته [1]

[1] – زهر الآداب : للحصرى القيروانى ، المجلد الثانى ، جـ٣ / ٩٢٤ ، ٩٢٥ .

وإذا كان هذا هو موقف بعض رجالات الخوارج ، يتوجهون بالاستعطاف والاستشفاع من أجل الإبقاء على أرواحهم برغم بسالتهم ومواقفهم الصلدة . فما بالنا بالنساء ؟ فبطبيعة الحال نجدهن أرق وأضعف . ولأن الرجل يمثّل فى مجتمع النساء الشىء الكبير لذا وجدنا من نساء الخوارج من تستعطف وتستشفع الحجاج فيرق لها الحجاج مع قسوته المعهودة . فقد رُوى : " كان يزيد بن قرة الشيبانى شديداً منيعاً ، وكان يرى رأى الخوارج ، ولم يخش عمال العراق ، فغاظ ذلك الحجاج وبلغ منه . فكتب إلى عبد الملك يخبره بذلك فكتب إليه عبد الملك : احتل له فإن قدرت عليه فاضرب عنقه ، فدعا الحجاج يزيد بن رويم وجرير بن يزيد فأكرمهما وأدناهما وقال ليزيد : لك شُرَط العراق ولجرير ديوان الخراج إن أتيتمانى بيزيد بن قرة . فركبا إليه فقالا له : إن الأمير قد غضب عليك ، وإنّا نخاف أن ينال غضبه جميع أهلك فاركب إليه ، قال لا أفعل إنّه إن نظر إلىّ قتلنى ، قالا له : ما هو فاعل ولابد أن تركب معنا ، فأتى معهما ، تهيأ للقتل وخرج نساؤه معه ، فلما دخل على الحجاج قال له : أنت يزيد بن قرّة ؟ قال : نعم . قال : قتلنى الله إن لم أقتلك، قال نشدتك الله ألا تقتلنى فإنى قيّم أربعٍ وعشرين امرأة ، ليس فيهن رجل غيرى ، ولا لهن قيّمٌ سواى . قال ومن يعى ذلك ؟ قال : هُنّ بالباب . فأمر بإدخالهن وكل واحدة منهن تقول : اقتلنى ودعه . فيقول : من أنت ؟ فتقول : عمته أو خالته أو ابنته ، أو بنت أخ أو بنت أخت حتى اجتمعن بين يديه فقالت أخته :

أحجاج هبه اليوم لله وحده
وللباكيات الصارخات تفجعا
أحجاج إما أن تمنّ بنعمة
عليه وإمّا أن تُقَتّلنا معا

أحجـــاج كـــم تُفجـــع بـــه إن قتلتـــه
ثمانى عشـــرة واثنتـــين وأربعـــا
أحجـــاج لـــو تســـمع بكـــاء نســـائه
وعماتـــه يندبنـــه الليـــلَ أجمعـــا

" فرقّ لها الحجاج وبكى وحبسه وكتب فى أمره إلى عبد الملك يصف ما جرى فكتب إليه ، اعف عنه وألحق عياله فى العطاء ففعل " [1] .

وهكذا نجد الاستعطاف أثّر فى الحجاج فعفا عمن كان يريد قتله بـــل ورقّ الخليفة أيضاً ، فعفا عنه ، وألحق عياله العطاء .

وبهذا كان شعر الاستشفاع موضوعاً مهما عند نساء الخوارج فبرغم قلته إلاّ أنّه يتناسب مع حياتهم التى تتسم بكثرة القتلى وما يصحبها مـــن فقـــد واغتراب .

✈ ✈ ✈

فإذا تركنا الموضوعات الشعرية التى جاء عليها شعر نساء الخـــوارج وانتقلنا إلى مناقشة القالب الشعرى الذى تضمن هذه الموضوعات وجدنا بعض الملاحظات التى تلفت النظر عند مطالعة هذا القالب الشعرى . ومنهـــا **عدم الالتزام بمقدمة** كعادة الشعراء القدماء " فلم يترسموا طريق القدامى ... بـــل انطلقوا على سجيتهم بما يتلاءم وغاية الشعر التى يرمون إليها فنجـــدهم قـــد استغنوا عن المقدمة الغزلية والطللية فى استفتاح قصائدهم " .

---

[1] – المستجاد من فعلات الأجواد ، المحسن التنوخى ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

وربما كان ذلك بسبب اقتصار شعرهن فى الغالب على المقطوعات الشعرية ، والمقطوعة لا تتحمل المقدمة ، بالإضافة إلى أنهن لم يتخذن أشعارهن للتكسب والاحتراف . فيطالبن بمقدمة تلفت أسماع الجمهور إليهن وما إلى ذلك . فشعرهن لم يقل لجمهور أو إلى متلقٍ خارجى .

هذا بالإضافة إلى أن القصيدة الخارجية لم تكن مخالفة لغيرها من قصائد الجاهليين والإسلاميين والأمويين فى افتقارها إلى المقدمة فحسب ، بل تختلف عنها فى أغراضها ، ففى حين أن القصيدة الجاهلية . ومثلها الإسلامية والأموية بشكل عام . تتعدد فنونها وأغراضها ، فإن القصيدة الخارجية تدور فى أكثرها حول معنى واحد ، ولغرض واحد فى سبيل غاية واحدة " [1] . ينطبق هذا على شعر الرجال والنساء معاً .

ولكن من الممكن أن تخص شواعر الخوارج بأنهن ذوات الموضوع الواحد أو الغرض الواحد ليس فى القصيدة الواحدة فقط ولكن فى كل أشعارهن ألا وهو موضوع الرثاء فأغلب شعر نساء الخوارج يندرج تحت هذا الموضوع . ويكفى أن ندلل على ذلك بأن كل ما وقع تحت أيدينا من شعر نساء الخوارج يبلغ ثلاثا وعشرين مقطوعة وقصيدة يبلغ عدد مقطوعات الرثاء منها سبع عشرة مقطوعة . بل ويكفى أن نشير إلى أن مجموع أبيات شعر نساء الخوارج يبلغ مائة وأربعين بيتا ، تعداد الرثاء منها حوالى مائة وأربعة وعشرين بيتاً أى ما يقترب من ٨٩% من مجمل أشعارهن . وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أن شعرهن يدور فى الأغلب حول موضوع واحد هو الرثاء . وفى هذا خصوصية لهن حتى بالنسبة لشعر رجال الخوارج حيث اتسعت

---

[1] – الخوارج : د. نايف معروف ، ص ٢٨٩ .

أغراض شعرهم ولم تقتصر على موضوع واحد وإن قلوا كثيرا عن غيرهم من الشعراء الآخرين .

وشعر الرثاء عند نساء الخوارج لم يقدم كعزاء للغير أو تأبين ، تُعدد فيه محاسن الميت ولكنه اقتصر على الندب والتحسر والتفجّع وهذا لا يحتاج إلى منطلق خارجي كما قلنا ولكنها زفرات وأنّات وحسرات فى النفس فهى كالدورة الدموية التى تبدأ وتنتهى داخل الإنسان . ولهذا ينبغى أن ننظر لشعرهن من هذه النظرة على أنه أنات وزفرات كما قلنا . انطبعت عليها حياتهن لكثرة قتلاهن ، فعيونهن لا تجف على الدوام فمن قتل أخ إلى قتل ابن إلى قتل زوج إلى قتل أب أو عم أو قتلهم جميعاً . هذا مع بيئة لغوية صافية يغلب عليها ثقافة القرآن وسلامة اللغة ، بالإضافة إلى قريحة سليمة . خرّجت هذه الآهات المكلومة شعراً .

ففى اعتقادى أن المرأة الخارجية لم تقصد إلى الشعر قصداً ، ولم تتفرغ يوما لقرضه ونظمه ، ولكنها زفرات وحسرات عندما زادت خرجت شعراً . ومما يدلل على أنهن لم يقلن الشعر قصداً ، أنهن لم يجلن النظر فى الشعر بعد قوله أى لم يأخذ حقه فى المراجعة والتدقيق بدليل غلبة الزّحافات[1] على شعرهن بكثرة ملفتة ، حتى أن نسبة التفعيلات التى دخلها التزحيف فى شعرهن إلى مجموع التفعيلات تصل إلى ٣٥% من عدد التفعيلات ، وأن شعر مليكة الشيبانية التى يصل عدد أبياتها إلى ثمانية وأربعين بيتاً أى أكثر من ثلث شعر النساء يصل نسبة التزحيف فى شعرها إلى ٥٦% من عدد تفعيلات أبياتها .

١- الزحافات عبارة عن تغييرات تحدث فى التفعيلات بالنقص وتخص تفعيلات الحشو فى الأغلب ، وقد تأتى فى تفعيلتى العَروض والضرب ، ويسمى الزحاف فى هذه الحالة (زحاف يجرى مجرى العلة).

وكثرة التزحيف تؤثر على سلامة الوزن فى القصيدة حتى أن قدامة ابن جعفر قال : " من عيوب أوزان الشعر التخليع ، وهو أن يكون قبيح الوزن، قد أفرط قائله فى تزحيفه ... فإنّ ما جرى من الشعر هذا المجرى ناقص الطلاوة قليل الحلاوة " [1] . ويرفض المرزبانى كثرة التزحيف الذى جاء فى قصيدة عبيد بن الأبرص فيقول : " ومثل قصيدة عبيد بن الأبرص . وفيها أبيات خرجت عن العروض ألبتة ، وقبّح ذلك جودة الشعر حتى أصاره إلى حد الردىء منه ، فمن ذلك قوله :

والحىُّ ما عاش فى تكذيب ... طول الحياة لهُ تعذيب .

فهذا معنى جيد ، ولفظ حسن ، إلاّ أن وزنه قد شانه ، وقبّح حسنه ، وأفسد جيده . فما جرى من التزحيف هذا المجرى فى القصيدة أو الأبيات كلها أو أكثرها كان قبيحاً من أجل إفراطه فى التخليع واحدة ، ثم من أجل دوامه وكثرته ثانية . وإنما يستحبُّ من التزحيف ما كان غير مفرط ، أو كان فى بيت أو بيتين من القصيدة ، من غير توالٍ ولا اتّساق يخرجه عن الوَزْنِ " [2] .

فالتزحيف حتى وإن كان جائزاً فى الشعر إلاّ أن كثرته تؤثر على سلامة الوزن ، حتى أن قصيدة عبيد لم تأتِ على وزن واحد بل تناوبت بين مخلع البسيط ومجزوء البسيط مما أثر على إيقاعها الموسيقى وذلك لكثرة الزحافات الموجودة فيها . وهذا شديد الوضوح فى شعر نساء الخوارج فالتزحيف لم يكن فى بيت أو بيتين حتى يُقبل ولكن كل بيت من أبيات شعر الخوارج لا يخلو من زحاف أو زحافين ، فمجمل الزحافات فى شعرهن تصل

---

[1] – الموشح للمرزبانى ، ص ١٠٨ .
[2] – نفسه ، ص ١٠٩ .

إلى مائتين وستة وثلاثين زحافاً فى جملة مائة وأربعين بيتاً من الشعر . وهذا يدل على عدم حسن البنية الإيقاعية لهذا الشعر . والذى مرده كما قلنا إلى عدم اهتمام الشواعر بشعرهن لأنهن لم يقصدنه قصدا .

ومما يلاحظ أيضاً على القالب الشعرى عند نساء الخوارج عدم الاعتماد على الصورة الشعرية كعنصر من عناصر الشاعرية ، ففى جميع شعر الخوارج لم تبرز إلاّ ست صور فقط تعتمد على أبسط عناصر الصورة وهو التشبيه ، وكل التشبيهات الموجودة متأثرة بالبيئة الخارجية المعتمدة على القتال وقوة المنازلة فيه أو البكاء ، أو علو منزلة المقاتل وفقدانه .

فمن الصور التى تدلل على التأثر البالغ من كثرة مصاحبة القتلى لدرجة أن العين أصبحت ممتلئة بالدموع على الدوام كنفخات القطر . قول أخت الحازوق الخارجى :

أقلب عينى فى الركاب فلا أرى
حزاقا وعينى كالحَجَاة من القطر [1]

أو تزول الدموع وهى عزيزة كالجمان :

ما بال دمعك دائم السجم
مثل الجمان وهى من النظم

أما الصور التى تجسّد حسن البلاء فى المعارك والقوة والشجاعة وهى تدور حول تشبيه المقاتل بالأسد ، أو كالسيوف فمن ذلك :

ولىّ صحابته عن حَرٍّ ملحمةٍ
وشدَّ عمران كالضرغامة الهُصرِ [2]

---

[1] – الحَجَاة : النفاخات التى تعلو الماء من قطرِ المطر .

[2] – الأسد الهصر : الأسد الشديد .

نجلـــتهم كســـيوف الهنـــد أربعـــةٍ
بيضاً مصاليتَ فى الهيجاء كالأســـد [1]
ولليـــث فـــوق الـــنعش إذ يحملونـــه
إلـــى حفـــرة ملحـــودة وســـقوف

أما الصور التى تدور حول علو المنزلة فمنها :

وللبدر من بـــين الكواكـــب إذ هـــوى
وللشمس همـــت بعـــده بكســـوف
فقـــدناه فقـــدان الربيـــع فليتنـــا
فـــديناه مـــن ســـاداتنا بـــألوف

وقلة الاعتماد على الصور يدلل على عدم الاهتمام بالشعر كما أسلفنا ، فالصورة عنصر أساسى من عناصر العمل الشعرى " فالشعر ليس فى اللفـــظ وحده ، (كما يقول ابن خلدون) ، ولا هو فى المعنى وحده (كما يقول ابـــن رشيق) ، ولكنه فى الصورة البلاغية (الشعرية) كما يقول ضياء الدين بـــن الأثير " [2] .

أما بالنسبة للمحسنات البديعية فلم يستخدمن غير مُحسِّن واحـــدٍ فقـــط وفى أبيات قليلة وهو الطباق . ومن أمثلته :

---

[1] – المصاليت : السيوف الصقيلة الماضية .

[2] – عبقرية اللغة العربية : د. عمر فروخ ، ص ٣٠٠ ، دار الكتاب العربـــى بيـــروت – ١٤٠١هـــ ، ١٩٨١م .

ـ يصـــل القرابـــة والجـــوار إذا
قطـــع القرابـــة صـــاحب الظلـــم

ـ يـــدعوه ســـراً وإعلانـــا ليرزقـــه
شـــهادة بيـــدٍ ملحـــادة غُـــدُرِ

ـ ولي صـــحابته عـــن حـــرٍّ ملحمـــة
وشد عمران كالضرغامة الهُصُـرِ

ـ أبكـــى وحـــقّ لـــى البكـــا
ء مـــع العـــوادي والـــروائح

أما فيما يخص الصياغة اللفظية والتراكيب اللغوية ، فنجد الشـواعر كنّ يتوخيّن السهولة واليسر ، ولم يكن همهن إبراز البراعة اللغوية بل كـان همهن نقل أحاسيسهن ومشاعرهن ، ولهذا امتاز شعرهن بالسلاسة والدقـة . بعيداً عن الغرابة والعجمة ، مع ميل إلى البساطة فى التعبير وبعد عن الصنعة الفنية ، وبذلك جاء شعرهن صريح اللفظ منكشف المعانى كأنما أردن الوصول إلى غايتهن مباشرة .

كما يلاحظ أن شعرهن يدور حول **معجم شعرى** خاص بهن يـرتبط ارتباطا وثيقا ببيئتهن التى هى فى مجملها ساحات للمعارك أو معسكرات لها . ولهذا غلب على معجمهن الشعرى ألفاظ المعارك وما ينتج عنها من مـوت، يعقبه حسرة وتفجع ، ويكفى أن ننظر فى هذه المفردات التـى تـرددت فـى أشعارهن . ليتضح لنا أثر الظروف التى كنّ يعشنها على معجمهن الشـعرى منها :

الرمح ، دم سائل ، مطعون ، ثاكل ، العين ، الدمع ، عَبْرى ،مصائب فقيد ، حرارة ، بكاء ، الموت ، التلهف ، الجزع ، هَرَقتَ ، دماء ، الزمـــاجر العساكر ، منيّة ، الشهادة ، القتل ، النـــدب ، تفجـــع ، الســـيف ، الأبـــرار ، المرزى ، التقى ، القَنا ، الخيل ، العدو ، الردى ، الحِمام ، البِلى ، النوائب ، الوغى ، كتيبةَ ، الحرب ، طعنة ، الهيجاء ، الأسد ، الإعوال ، الكَمد ، الظلم، الثرى ، الشراة .

هذه هى المفردات التى تغلب على معجمهم الشعرى وهـــى مفـــردات تقترب من التفجّع والتحسّر أكثر منها من الفرحة بالمعارك وحُب الاستشـــهاد فيها كما هو فى عالم رجالهم . إن هذه المفردات عندما تنتظم لا تعبـــر عـــن جيشان عاطفى فقط ، ولكنها تحمل قدرة على التأثير فيمن يســـمعها ، لأنهـــا ببساطة مفردات مألوفة ومشتركة بين الناس فاكتسبت حياة بحياة الناس .

استطاعت هذه المفردات الحيّة أن تعبر عن انفعالات المرأة الخارجية وما يصاحبها من مشاهد الحياة الداخلية وتقلقلها ، حتى أصبحت هذه المفردات وما تبعثه من تدفق عاطفى عوضاً عن الصور التى تعود الشعراء أن ينشروها فى قصائدهم بين البيت والبيت .

فالشاعرة الخارجية كانت تعبّر تعبيراً تلقائياً بلا محاولـــة للإبـــداع أو التفنن ، معتمدة على حرارة العاطفة وإيحاء الألفـــاظ المرتبطـــة بالمشـــاعر والانفعالات ، إنها تبث فى ألفاظها قدراً كبيراً من الحرارة واللوعة فاســـتغنت بذلك عن التشبيهات والمجازات إنها تقربنا كثيراً من عالم الشعراء العذريين [1].

---

[1] – انظر : فى الشعر الإسلامى والأموى ، د. عبد القادر القط ، ص ١٤٤ .

والشاعرة الخارجية لم تعتمد فقط على الألفاظ الموحية فى التعبير عن انفعالاتها ولواعجها ولكنها استخدمت وسائل لغوية أخرى تساعد على ذلك منها : التكرار واستخدام الأساليب الإنشائية .

" فالتكرير أسلوب تعبيرى يصور انفعال النفس بمثير من أشباه ما سلف ، واللفظ المكرر فيه هو المفتاح الذى ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان ، فالمتكلم إنما يكرر ما يثير اهتماماً عنده ، وهو يحب فى الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه ، أو من هم فى حكم المخاطبين ، ممن يصل إليهم القول على بعد الزمان والديار .

فاللفظ المكرر بوجه عام – مصدره الثورة وهدفه الإثارة ، حباً أو بغضاً ، فى أى غرض من أغراض الكلام ، ... ويرجع أثر التكرار إلى أنّه يزيد الشىء المكرر تميّزاً من غيره ، فالأشخاص الذين يقع عليهم نظرى كثيراً يزدادون وضوحاً فى إدراكى وتصبح صورهم بمثابة الصيغة القوية التى تستأثر بذاكرتى ، وكذلك الأقوال أو الأحكام التى تتوافر فى سمعى تكون أكثر وروداً على لسانى أو خلال تفكيرى من الأقوال والأحكام العابرة " [1] .

فالشاعر بتكرار ألفاظ بعينها يحاول أن يجسّد صورة بيانية تجسم الإحساس وتبرزه مستعيضاً بها عن المجازات والتشبيهات [2] .

وإذا تلمسنا ظاهرة التكرار فى شعر نساء الخوارج وجدناه جاء فى موضوعات متعددة ولكن يغلب فى موضوع الرثاء ، فالرثاء به ألصق ، لأنه

---

[1] – التكرير بين المثير والتأثير : د. عز الدين على السيد ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، دار الطباعة المحمدية ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م .

[2] – فى الشعر الإسلامى والأموى ، ص ١٤٦ .

فى الغالب يدل على التحسر والتحزن ، فالقلب يحترق بالحزن لحبيب رحل ولن يعود ، مع استحكام اليأس وانعدام الأمل ، ولا أقسى على القلب من فراق الأحباب فراقاً إلى الأبد . فنلاحظ الشاعرة الخارجية تحاول أن تكرر اللفظ موضوع الحالة التى هى عليها : فتكرر اسم عزيز رحل وما زال محفوراً فى وجدانها ، تكرر لفظ (العين) تستدرها فى البكاء عليه ، تكرر لفظ (البكاء) لاستمرار الحالة .

تكرر ألفاظ لها علاقة بأسباب الموت : ولهذا يصدق قول ابن رشيق القيروانى : " وأول ما تكرر فيه الكلام باب الرثاء لمكان الفجيعة وشدة القرحة التى يجدها المتفجّع وهو كثير حيث التمس من الشعر وجدا " [1] .

فهذه أم عمران تنعى ولدها فتحاول أن تكرر اسمه أكثر من مرة وكأنه ماثل أمامها تحدثُه ويحدثها :

الله أيـــد عمرانـــا وطهـــره
وكان عمران يدعو الله فى السَّحر
ولى صـــحابته عـــن حَـــرّ ملحمـــة
وشد عمرانُ كالضرغامة الهُصـــرِ

والعين أُولى الأعضاء التى تحس بالفقد وهى العضـــو المعبـــر عـــن حالات الحزن فتكرارها يعطى دلالة أيضاً :

تقول أخت الحازوق الحنفى
أقلب عينى فى الركـــاب فـــلا أرى
حزاقاً فعينى كالحَجـــاة مـــن القطـــر

---

[1] – العمدة ، ص ٣٠٠ .

ومن تكرار لفظ (البكاء) للدلالة على استمرار الحالة .

أبكـــي ومـــا يغنـــي التلهـــفُ

والبكـــاءُ عـــن الجـــزوع

والدم من أسباب الثكل والفقد .

فلست بناج من يـد الله بعـد مـا

هرقـت دمـاء المسـلمين بـلا دم

كما استخدمت الشاعرة الخارجية التكرار فـي موضـوعات أخـرى بغرض إظهارها وإبرازها منها :

تركـــت رمحـــاً لينـــا مسُـــه

وجئـت رمحـاً مسُـه قاتـلُ

شـــتان هـــذا بـــدم ســـائل

وذاك منـــه عســـل ســـائل

مطعـون ذا كـم منـه فـي لـذة

وأمّ مطعـــون بـــذا ثاكـــلُ

والتكرير قد يأتي لإثبات صفة :

ـــ ويحـــوط المـــولى ويصـــبح الخيـــر

ويجـزى الإحســان بالإحســان

ـــ حليف الندى إن عاش يرضى بها النـدي

وإن مات لا يرضى الندي بحليف

ـــ ألا إن وجهـــا حسّـــن الله خلقـــه

لأجدر أن يُلفى به الحسنُ جامعـا

وقد يكون لتأكيد نفى صفه :

ـ وقد علمت أن لا ضـــعيفا تضـــمنت
إذا عظم المرزى ولا ابن ضـــعيف

وقد يكون التكرار للتمنى :

فـــإن يـــك أرداه يزيـــد بـــن مزيـــد
فربّ زحـــوف فضـــها بزحـــوف
ففى قتلهم مثل الذى نال مـــن حظـــى
بقتل حزاق فى العلاء وفى الـــذكر

وقد يكون التكرار لتقرير واقع :

ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقـــح
وســـمر القنـــا ينكزنهـــا بـــأنوف

إن التكرار يعطى شحنةً عاطفية زائدة ، لهذا استعانت بـــه الشـــاعرة الخارجية ، أو أنها كررت وهى لا تدرى ، لأنها تتحدث وهى تحـــت مثيـــر انفعالى أقوى منها على الدوام .

أما عن كثرة استخدام الأساليب الإنشائية فنظراً لحيويتها فى إثـــراك المتلقى فى الموقف الذى عليه المبدع ، " فإذا كان الخبر يمثل اللغة فى جانبها المستقر فإن الإنشاء يمثلها فى جانبها المتحرك ، فالأساليب الإنشائية طلبيـــة كالأمر والنهى والاستفهام والتمنى والنداء ، أم غير طلبية كالتعجب والمـــدح والذم والقسم ، أبرز مظاهر اللغة التى تعرب عن حيويتها .

ونرى هذه الأساليب معربة عن هذه الحيوية بأربعة عوامل رئيسة :

أولها : العامل الصوتى : فمن مقومات التراكيب الإنشائية ، وخاصة الطلبية منها : النغمة الصوتية فهذه لا تنخفض فى آخرها ، لبقاء الكلام فى حاجة إلى جواب بالقول أو استجابة بالفعل أو تعليق ، أو ما من شأنه أن يجعل الكلام منفتحاً غير منغلق .

وثانياً : العامل النحوى أو الصرفى : فالتراكيب الإنشائية ترتكز على أدوات خاصة (كالأداة فى الاستفهام أو القسم) ، أو صيغ معينة تبنى عليها بعض عناصرها (كصيغة الأمر فى الأمر ، أو صيغة ما أفْعله أو أفعل به فى التعجب) وتساهم فيها هذه العناصر بأكبر قسط فى تحديد مدلولها .

ثالثها : العامل المعنوى البلاغى : فمن مقومات هذه الأساليب – فى ظاهرها – الترجمة عن الانطباعات العاطفية دون المقررات العقلية ، فهى تعكس أزمة الشعور وحيرة العقل أكثر من حقيقة العلم وصادق الرأى .

رابعها : العامل النفسى المنطقى : فهذه الأساليب تتبئ لقيام حوار ، وقد تفضى إليه وقد لا تفضى ، وبحسب ذلك تتلوّن معانيها ودلالتها .

بهذه العوامل تنشّط الأساليب الإنشائية مراحل النص إذا داخلته وتعرب أكثر من غيرها من الأساليب عن حاجة الباثّ إلى مساهمة المتقبّل الذى يتحول فيها من متقبل مجرد إلى طرف مشارك "[1] .

---

[1] – خصائص الأسلوب فى الشوقيات : محمد الهادى الطرابلسى ، ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١ .

وبهذه العوامل الأربعة جاءت الأساليب الإنشائية عند شواعر الخوارج والتى تتمثل فى : مشاركة المتلقى وإقامة حوار معه ، الصيغ والأدوات تعطى دلالات جديدة ، تعبر عن أزمة الشعور أو المأزق النفسى عندهن .

اعتمدت هذه الأساليب على الجانب الطلبى منها وبالذات الاستفهام والنداء لتجعل من المتلقى طرفاً حاضراً فى الموضوع . هذا المتلقى قد لا تقصده فى حينها ولكنه قد يكون طرفا فى ظرف زمانى أو ظرف مكانى مختلفين .

ولما كانت التجربة العاطفية عند الشاعرة الخارجية تجربة داخلية فى المقام الأول ، وكان الاتصال بينها وبين العالم الخارجى معدوماً أو كالمعدوم. فإنها تلجأ إلى التساؤل الذى توجهه إلى نفسها أحياناً أو إلى الناس ، دون أن تنتظر جوابا . ولهذا وجدنا الاستفهام عندها – كما هو فى الشعر عادة – يخرج عن معناه الأصلى إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال " [1] ، هذه المعانى تكون بعيدة كل البعد عن طلب إجابة للسؤال .

ولهذا نجد دلالات الاستفهام تتعدد وتتنوع عند شواعر الخوارج ، فمنها ما يدل على الإنكار مثل :

أصبرت عن عمى الذى
قد كان بالمعروف آمرْ
أصبرت عن عمى الذى
كان المؤامر والمؤازرْ

---

[1] – علم المعانى : د. درويش الجندى ، ص ٥٢ ، دار نهضة مصر .

أو يكون الاستفهام للتمنى كما فى قول أم حكيم :

أحمل رأساً قد سئمت حملهُ
وقد مللت دَهْنَه وغَسْلَهُ
ألا فتى يحملُ عنى ثِقْلَه

وقد يدل الاستفهام على تقرير حالة ومنها :

ما بال دمعك يا مليكة جار
أم ما لقلبك لا يَقرّ قرارِ
أم ما لنفسك ليس يسكن حزنها
ليلا وليس نهارها بنهارِ

وقد يكون للتعظيم :

- من ذا يُرجّى للنَصيحة
حين تُفتقد النصائحْ
أم من يُرجّى للقريب
ومن يكون لكل نازحْ
أم من يؤمل لليتيم
وكل ذى غرب ونائحْ
أم من يعم صديقه
خيراً ويحجر كل نابح
- أين الذين إذا ذكرت فعالهم
عرفوا بحسن عفافة ووقار

أيـــن الـــذين إذا أتـــاهم ســـائلٌ
بـــذلوا لـــه أمـــوالهم بيســـار
أيـــن الـــذين إذا ذكرنـــا ديـــنهم
قالـــت عشـــائرهم هُـــم أخيـــارى

وقد يدل الاستفهام على استبعاد الشيء :

فمَـــنْ رجـــل دان يقـــوم مقامـــه
عبنا فمهلا لا تزدنـــا تضعضـــعاً
مـــن لقلـــب شـــفّه الحـــزن
أو لـــنفس مـــا لهـــا ســـكن

وإلى جانب الاستفهام تستخدم الشاعرة الخارجية النداء أيضاً والنـداء عندها مطلق لا يحتاج إلى تلبية ، لأن المنادى عندها موضوع فى القصـيدة عادة لا طرف ثان مشارك فى بناء الموضوع ولذلك لم يكن النداء فى شعرها إلاّ خارجاً عن معناه الأصلى .

ولهذا نجد النداء يأتى دالاً على التحسّر والتفجع بالذات عندما نجـده يأتى مصحوباً بأمر . ومن أمثلته :

ـ يـــا عـــينُ جـــودى بالـــدموع
وابكـــى بجهـــد المســـتطيع
يـــا مـــوت ويحـــك مـــا تـــزا
لُ مفرقـــاً بـــين الجميـــع
ـ يـــا عـــين جـــودى بالـــدمو
ع بواكـــف حتـــى الممـــات
ـ أعينىَّ جـودا بالـدموع علـى الصـدر
على الفارس المقتول بالجبل الوعرِ

وقد يدل على التحسر والتعجب :

فيـــا شـــجر الخـــابور مالـــك مورقـــاً

كأنك لم تجزع على ابـــن طريـــف

وقد يدل على الاختصاص والتقرير :

يـــا عـــمْ كنـــت لســـان قـــو

مـــك حـــين يجتمـــع المعاشـــر

وقد يدل النداء على الاستغاثة :

أحجـــاج لـــو تشـــهد مقـــام بناتـــه

وعماتـــه ينـــدبن بالليـــل أجمعـــا

أحجـــاج إمّـــا أن تمـــنَّ بتركـــه

عليـــاً وإمـــا أن تقتلّنـــا معـــا

أحجـــاج لا تفجـــع بـــه ونســـائه

ثمانية عشـــرة واثنتـــين وأربعـــا

وعلى الأغلب والأعم نجد الشاعرة الخارجية تستخدم الاستفهام والنداء في مجال التحسّر والتفجّع فأسئلتها ونداءاتها ما هي إلاّ رجع صدى لحالتهـــا النفسية المنطوية على الحيرة والألم .

وإذا انتقلنا إلى **موسيقا الشعر** عند شواعر الخـــوارج وجـــدنا أنهـــن التزمن بقواعد العروض العربي المتمثلة في أوزان الخليل بالإضافة إلى قواعد القافية.

فقد جاءت مقطوعاتهن وقصائدهن على ثمانية أبحر تمثل كل الدوائر العروضية . وقد جاءت نسبة تردد هذه الأبحر على النحو التالى :

استخدم الكامل تاماً ومجزوءاً ثمانى مرات ، والطويل ست مرات والبسيط التام مرتين ، ومشطور الرجز مرتين ، والخفيف مرتين أما المديد والسريع والمتقارب فكل بحر استخدم مرة واحدة .

وقد شكل بحر الكامل أعلى نسبة استعمال عند شواعر الخوارج لأنه يصلح لجميع أغراض الشعر ولهذا فقد كثر استعماله عند القُدامى والمحدثين .

وجاء بحر الطويل فى المرحلة الثانية لأنه أتم البحور استعمالا بالإضافة إلى أنه يصلح للمطوّلات لهذا وجدنا قصيدة (ليلى بنت طريف) والتى تمثل أطول قصيدة فى شعر نساء الخوارج – إذ يبلغ عدد أبياتها تسعةً وعشرين بيتا – جاءت على بحر الطويل .

وإذا انتقلنا إلى القوافى وجدنا الشاعرة الخارجية استخدمت القافية المتواترة إحدى عشرة مرة ، والمتداركة سبع مرات ، والمتراكبة أربع مرات، والمترادفة مرة واحدة وبهذا نرى أنها كانت تميل إلى قلة الأحرف المتحركة بين الساكنين مما يتناسب مع حالتها النفسية .

كما أنها استخدمت القافية المطلقة تسع عشرة مرة والمقيدة أربع مرات فقط .

أما بالنسبة للموسيقا الداخلية فلم تلجأ لها الشاعرة الخارجية إلاّ مرّةً واحدة فقط عندما استخدمت مليكة الشيبانية التصريع فى قولها :

مـــا بـــال دمعـــك دائـــم الســـجم

مثل الجمان وهـــى مـــن الـــنظمِ

حيث جاءت العروض حذّاء مضمرة مثل الضرب ولا يكون ذلـــك إلاّ فى التصريع . أما عدم اعتماد الشاعرة الخارجية على القوافى الداخلية فلأنها اعتمدت على المقطوعات الشعرية فى الغالب فى إفراغ تجربتها العاطفية .

كما أن الشاعرة الخارجية لجأت إلى بعض الضرائر الشـــعرية فـــى بعض المواقع ، كصرف الممنوع من الصرف فى قولها :

الله أيد عمراناً وطهره

أو تخفيف الهمزة كقولها :

كلمـــا ســـكنت حـــرارة وجْـــد

من فقيـــد منـــاً تجينـــا بـــأخرى

أما من عيوب القافية فلم يظهر إلاّ عيب واحد فى حالة واحـــدة فقـــط وهو التضمين :

لـــو أن الســـيوف التـــى حـــدّها

تصـــيبك تعلـــم مـــا تصـــنع

نبـــت عنـــك إذ جعلـــت هيبـــة

وخوفـــا لصـــولك لا تقطـــع

وهو تضمين مقبول على أية حال .

خاتمة البحث

خاتمة البحث

وبعد أن انتهينا من دراسة هذا البحث نحاول أن نجمل بعض الخطوط العريضة التى دار حولها .

ففى التمهيد : استطعنا أن نتعرف على الخوارج ومبادئهم وفرقهم وأثرهم على الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً ، ضاربين أمثلة على الفظائع والشناعات التى ارتكبوها .

وفى الفصل الأول : بينا كيف كانت المرأة الخارجية امرأة مقاتلة سواء كانت أما أو أختاً أو زوجة ، حيث كل واحدة منهن تتسم بالشجاعة والاستبسال ، والدفاع عن المبدأ حتى ولو كلفها ذلك حياتها ، بل هى تسعد بتقديم حياتها من أجل الحق الذى تراه .

وضربنا أمثلة كثيرة على ذلك مثل : (قَطام) التى حرضت وخططتْ لقتل على بن أبى طالب ، و (الشجّاء) التى ضربت المثل فى الجرأة والإقدام وعدم الرهبة أمام زِياد بن أبيه . و (البلجاء) التى قطع عبيد الله بن زياد يديها ورجليها ورمى بها فى السوق . و (أم حكيم) التى سئمت حمل رأسها وتمنت أن تجد من يخلصها من حمله فتستشهد فى سبيل الله كما تزعم ، و (عميرة امرأة مجاشع البكرى) التى تركت العيشة الناعمة إلى حياة القتل والموت تحت أسنة الرماح مع الخوارج ، وكذلك (جمرة) زوجة عمران بن حطان التى وجهته إلى مذهب الخوارج . وكذلك (غزالة) زوجة شبيب الخارجى المرأة التى دوخت الحجاج والتى يقال إنها تولت إمارة إحدى فرق الخوارج بعد مقتل زوجها . وغيرهن الكثيرات مثل (الجعيداء) زوجة أبى حمزة الشارى ، و (ليلى بنت طريف التغلبية) .

وفى الفصل الثانى : ركزنا على النوازع والرغائب النفسية للمرأة الخارجية والتى وضحنا فيه أن حياة المرأة الخارجية لم تكن على وتيرة واحدة تدور فى فلك المرأة المقاتلة . ولكن وجدنا منهن من تعيش كأى امرأة تحركها نوازعها ورغباتها الأنثوية . كما وجدناها حلماً بالنسبة للرجل (كأم حكيم) وقطرى بن الفجاء . و (جمرة) بالنسبة لعمران بن حطان ، كما وجدناها تضع الشروط أمام من يريد أن يتزوجها (كعائشة بنت يحيى الخارجية) أو تستهزئ بشيب زوجها كزوجة يزيد بن حبناء ، والتى كانت تلوم زوجها لأنه لم يرسل لهـــا الهدايا وهو فى أرض المعركة ، أو تسعى إلى تطليق نفسها حتى تتزوج بمن تحبه كما فعلت (جمرة) ، أو تسعى إلى رجل يعفها وتتمتع بالحياة معه ، أو تحاول أن تثنى زوجها عن الخروج حتى تعيش حياة هادئة مستقرة ، أو تعيش فى ذاكرة الرجل بعد موتها مثل زوجة مالك المزموم . أو أن تهجر زوجهـــا لأسباب مختلفة ، أو تتجسد فيها سمة الوفاء بعد وفاة زوجها فلا تتزوج بعده .

كما أشرنا إلى منزلة الابنة عند الأب وكيف كان لها تأثير شديد على سلوكه فوجدنا أبا خالد القنائى يتقاعس عن الخروج مفضلاً القعود مع بناتـــه الصغار ليشرف على تربيتهن .

وجاء الفصل الثالث : ليتناول المرأة الشاعرة ، واتضح فيه مـــدى فصـــاحة المرأة الخارجية وحب بعضهن للشعر . كما أشرنا إلى قلة شعرهن وأســـباب هذه القلة ، وغلبة المقطوعات الشعرية على شعرهن وأسباب ذلك .

ثم تناولنا موضوعات شواعر الخوارج . فوجدناها تقتصر على ثلاثة موضوعات فقط : شعر الجهاد وحب الشهادة ، مثلما ورد فى شعر أم حكـــيم ومريم الجعيداء .

وكذلك موضوع الرثاء الذى شغل معظم شعرهن ، حيث كان نتيجة طبيعية لحياتهن التى كانت سلسلة متصلة من المعارك والحروب وكثرة القتلى، وأشرنا إلى أن الرثاء دار حول عدة تيارات منها :

رثاء المثل ، وإظهار الفرح والسرور فى الرثاء ، وتمنى الأخذ بالثأر ومحاولته ، وتيار يتسم بالتفجع والحسرة على القتلى كما وجدنا عند (مليكة الشيبانية) فى رثاء أخيها وعمها .

الموضوع الثالث وهو موضوع الاستعطاف والذى ظهر أخاذاً قوياً فى بعض النماذج الشعرية .

أما بالنسبة للقالب الشعرى فنجد أنهن لم يلتزمن بمقدمات لغلبة المقطوعات على شعرهن والمقطوعة لا تتحمل المقدمة ، كما أن شعرهن يدور حول موضوع واحد .

كما لاحظنا كثرة الزحافات والعلل فى أشعار نساء الخوارج مما يدل على أنهن لم يقصدن الشعر قصداً ، بل كان نفثات شعرية لحالة نفسية يعشنها.

كما لاحظنا عدم الاعتماد على الصور الشعرية كعنصر من عناصر الشاعرية .

أما بالنسبة للصياغة اللفظية فوجدناهن يتوخين السهولة واليسر فلم يكن همهن إبراز البراعة اللغوية ، بمقدار الرغبة فى نقل المشاعر والأحاسيس.

كما وجدنا أن شعرهن يدور حول معجم خاص بهم يرتبط ارتباطا وثيقاً ببيئتهن والتى فى مجملها ساحات للمعارك ، أو معسكرات لها ، ولهذا

غلب على شعرهن ألفاظ المعارك وما ينتج عنها من مـــوت يعقبـــه حســـرة وتفجع.

كما لاحظنا غلبة التكرار فى شعرهم وذكرنا أسباب ذلك كما وجـــدنا غلبة الأساليب الإنشائية على شعرهن،وخاصة ، الاستفهام والنداء .

كما لاحظنا التزام الشاعرة الخارجية بعروض الشعر وزناً وقافية .

كانت هذه بعض نتائج البحث أجملناها راجين مـــن الله أن تـــتم بهـــا الفائدة.

المصـــادر والمراجـــع

المصـــادر والمراجـــع

- **الإتقان فى علوم القرآن :**
للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، ت محمـــد أبـــو الفضـــل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٧هـــ- ١٩٨٧م .

- **الأخبار الطوال :**
لأبى حنيفة أحمد بن داود الدنيورى ، تحقيق : عمر فاروق الطبـــاع ، دار القلم ، بيروت ، لبنان .

- **الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية :**
د. مصطفى الشكعة ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٤م .

- **أشعار النساء :**
لأبى عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى ، ت د. سامى مكى العانى وهلال ناجى ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـــ - ١٩٩٥م .

- **أعلام النساء :**
لعمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعـــة الخامســـة ، ١٤٠٤هـــ ، ١٩٨٤م .

- **الأغانى :**
لأبى الفرج الأصفهانى ، دار صعب ، بيروت ، لبنان .

- **الأمالى :**
لأبى على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى ، دار الكتب العلميـــة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨هـــ – ١٩٧٨م .

- **البداية والنهاية :**
لابن كثير ، دار الغد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـــ ، ١٩٩١م .

- **بناء القصيدة فى النقد العربى القديم :**
د. يوسف حسين بكار ، دار الأندلس ، بيـــروت ، الطبعـــة الثانيـــة ، ١٤٠٣هـــ ، ١٩٨٣م .

- **البيان والتبيين :**
لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، ت عبد السلام هارون ، مكتبـــة الخانجى ، ١٤٠٥هـــ- ١٩٨٥م .

- **تاريخ الإسلام السياسى :**
د. حسين إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٤م .

- **تاريخ الأمم والملوك :**
لابن جرير الطبرى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان .

- **التطوير والتجديد فى الشعر الأموى :**
د. شوقى ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة التاسعة .

- **التكرير بين المثير والتأثير :**
د. عز الدين السيد ، دار الطباعة المحمدية ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م .

- **جمهرة رسائل العرب :**
أحمد زكى صفوت ، مطبعة البابى الحلبى ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١هـ ، ١٩٧١م .

- **خصائص الأسلوب فى الشوقيات :**
محمد عبد الهادى الطرابلسى ، منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١م.

- **الخوارج ، تاريخهم وآدابهم :**
على جفّال ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

- **الخوارج :**
د. عامر النجار ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م .

- **الخوارج فى العصر الأموى :**
د. نايف معروف - دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

- **الخوارج فى الإسلام :**
عمر أبو النصر ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٦٥م .

- **الخوارج :**
ناصر عبد الله السعوى ، دار المعراج الدولية ، الريـــاض ، الطبعـــة الأولى ، ١٤١٧هـــ – ١٩٩٦م .

- **دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين :**
د. أحمد محمد أحمد حلبى ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـــ، ١٩٨٨م .

- **رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية :**
د. مصطفى الشكعة ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

- **زهر الآداب :**
لأبى إسحاق إبراهيم بن على الحصـــرى القيروانـــى ، ت. د. زكـــى مبارك ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٢م .

- **السياسة والأدب فى العصر الأموى :**
د. عزيزة فوّال بابتى ، دار الشمال للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .

- **شعر الخوارج :**
د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .

- **شعر الخوارج :**
د. إحسان عباس ، دار الشروق ، الطبعـــة الرابعـــة ، ١٤٠٢هـــــ – ١٩٨٢م .

- **الصناعتين :**
لأبى هلال العسكرى ، تحقيق على محمد البجاوى ، محمد أبى الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ- ١٩٩٦م .

- **ضحى الإسلام :**
أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة التاسعة ، ١٩٧٩م .

- **عبقرية اللغة العربية :**
د. عمر فروخ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م.

- **العقد الفريد :**
لأبى أحمد أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى ، ت. أحمد أمين ، إبراهيم الإبيارى ، عبد السلام هارون ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان .

- **علم المعانى :**
د. درويش الجندى ، دار نهضة مصر .

- **العمدة فى صناعة الشعر ونقده :**
لأبى الحسن رشيق القيروانى ، تحقيق . مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

- **عيون الأخبار :**
لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيورى ، الهيئة العامة للكتاب، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٤٣هـ ، ١٩٢٥م .

- **فجر الإسلام :**
أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة عشرة ، ١٩٨٢م.
- **الفرق الإسلامية فى الشعر الأموى :**
د. نعمان القاضى ، دار المعارف بمصر .
- **الفرق بين الفرق :**
لعبد القاهر البغدادى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- **فى الشعر الإسلامى والأموى :**
د. عبد القادر القط ، دار النهضة المصرية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
- **الكامل فى اللغة والأدب :**
لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد ، ت. محمد أبى الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .
- **الكامل فى التاريخ :**
لأبى الحسن على بن أبى الكرم ابن الأثير الملقب بعز الدين ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م .
- **مروج الذهب ومعادن الجوهر :**
لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ، تحقيق د. مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

- **المعجم الأدبى :**
جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيـــروت ، لبنـــان ، الطبعـــة الأولى، ١٩٧٩م .

- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين :**
للإمام أبى الحسن على بن إسماعيل الأشـــعرى ، عنـــى بتصـــحيحه هلموت رويتر ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، الطبعـــة الثالثـــة ، بدون تاريخ .

- **المقارنة بين الشعر الأموى والعباسى فى العصر الأول :**
د. عزيز فهمى ، ت. محمد قنديل البقلى ، دار المعارف .

- **المقطّعات الشعرية :**
د. مسعد بن عيد العطوى ، مكتبة التوبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـــ – ١٩٩٣م .

- **الملل والنحل :**
لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكـــر أحمـــد الشهرســـتانى ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، دار صعب ، بيروت ، ١٤٠٦هـــ ، ١٩٨٦م .

- **الموسوعة العربية العالمية :**
مؤسسة أعمال الموسوعة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـــــ ، ١٩٩٦م .

- **الموشح :**
لأبى عبد الله محمد بن موسى المرزبانى ، تحقيق على محمد البجاوى، دار الفكر العربى ، القاهرة .

- **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة :**
للقاضى أبى على المحسّن بن على التنوخى ، تحقيق عبود الشالجى ، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .

الفهرســـت

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة .	٥ – ٦
التمهيد .	٧ – ٤١
الفصل الأول : المرأة مقاتلة .	٤٣ – ٨٠
الفصل الثانى : المرأة إنسانة .	٨١ – ١١٤
الفصل الثالث : المرأة شاعرة .	١١٥-١٧٩
الخاتمة .	١٨١-١٨٦
المصادر والمراجع .	١٨٧-١٩٦

رقم الإيداع بدار الكتب
١٧٩٦٤ /٢٠٠٢